الفصل الرابع

يتناول هذا الفصل أحوال الطوائف الدينية المختلفة في مصر والشام، فالطوائف الإسلامية وأهمها ما ذكره الرحالة عن الشيعة مثل الحشاشون و الدروز فقط، ثم الطوائف المسيحية حوالي عشر طوائف ذكرها الرحالة وتحدثوا عن أوضاعهم وعقائدهم وظروف حياتهم ومعيشتهم وأماكن وجودهم، أما الطوائف اليهودية فهي ثلاث طوائف أساسية انتشرت في مصر والشام، ولا يسعنا هنا أيضًا إلا ذكر المزارات والمقدسات الدينية للطوائف الدينية استكمالاً لموضوع الدراسة.

- **الطوائف الإسلامية في مصر والشام:**

انقسم المسلمون إلى طوائف وفرق مثل الشيعة والذين انقسموا على أنفسهم إلى فرق أخرى مثل الشيعة الإسماعيلية والباطنية و الزيدية وغيرهم، وقد عرف الشيعة بأنهم شيعة على بن أبي طالب وكانوا يرون أنه أحق بالخلافة والإمارة ثم غلب عليهم الاسم فقيل لهم شيعة وانتشروا في بلاد الشام وتوزعوا في البلاد في حلب، دمشق، وبعلبك[١٠١٤]، وعنهم أيضاً يقول ابن جبير في رحلته في القرن السادس الهجري حيث ضعفت شوكة الدولة الفاطمية وأصبحت الزعامة للحكام السنيين سواء كانوا من السلاجقة أو الأتابكة أو الأيوبيين -ورغم تشدد هؤلاء الحكام على الشيعة ومحاولة تفريقهم إلا أنهم ما زالوا يحتفظون بوجود ملحوظ في الشام- فقال: وللشيعة في تلك البلاد أمور عجيبة وهم أكثر من السنيين وقد عموا البلاد بمذاهبهم وهم فرق شتى منهم الرافضة وهم السبابون ومنهم الإمامية والزيدية وهم يقولون بالتفضيل ومنهم الإسماعيلية والنصيرية ويزعمون الألوهية لعلي بن أبي طالب ومنهم الغرابية وهم يقولون بأن علياً أشبه بالنبي من الغراب للغراب وينسبون إلى الروح الأمين عليه السلام قول الله تعالى عنه علوًا كبيراً، وسلط الله على تلك الرافضة طائفة تعرف

([١٠١٤]) أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص ٦٦ -٦٧.

بالنبوية سنيون وهم يقتلون هؤلاء الرافضة[١٠١٥]، ومن تلك الفرق الحشاشون و الدروز.

- **طائفة الحشاشين:**

الحشاشون هو اسم أطلق على الطائفة الباطنية من الشيعة الإسماعيلية الذين كانوا أتباع الحسن بن الصباح الذي ظهر في أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي وتوارث أتباعه مذهبه وكانوا يعملون على اغتيال خصومهم [١٠١٦] هؤلاء الحشاشون قد لقبوا بالباطنية وهو لقب أطلق على فرق خالفت التعاليم الإسلامية قالت إن لكل شيء ظاهراً وباطناً ولكل تنزيل تأويلاً، و في العراق كانوا يسمون الباطنية أو القرامطة أو المزدكية، وقد تفردوا باسم الإسماعيلية تمييزاً لهم عن باقي الفرق، على أن أهل الباطنية أصلهم من المجوس الذين ناصروا دين المجوس دين أسلافهم ولم يجرءوا على إظهار دينهم ذلك خوفاً من المسلمين وتأولوا بآيات القرآن الكريم وتغالوا في عظمة على بن أبي طالب لدرجة أنهم أخرجوه عن بشريته كإنسان[١٠١٧].

سكن الحشاشون في المناطق الجبلية وأسسوا القلاع والحصون والمدن وكان لديهم أراضي زراعية خصبة كما كونوا فرقة عسكرية مسلحة وصل عددهم إلى أربعين ألف مقاتل[١٠١٨]، مما جعلهم يسببون الرعب والفزع في نفوس المواطنين وكانوا يسمون باسم "Assain" أي القتلة والسفاحين، حيث كان يقوم شيخهم بتدريب الفتيان الشجعان ويرسلهم إلى الممالك والمدن للتخلص من بعض الشخصيات، فهم دائماً كانوا يتخلصون من عدوهم بالقتل بأية طريقة كانت[١٠١٩]، ولهم شيخ أو ما يسمى بالرئيس ولا يتولى الشيخ أمرهم بسبب تقدمه في السن أو عن طريق وراثته للمنصب، وإنما كان يتم اختياره حسب جدارته الشخصية ومكانته بين أتباعه وهم مطيعون له

([١٠١٥]) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٢٣.

([١٠١٦]) العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٢٥، حاشية (٢).

([١٠١٧]) أحمد رمضان، المرجع السابق، ص ٦٨، حاشية (١١).

([١٠١٨]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٧٥.

([1019]) Fabri , the wandering, p. Vol 2part 2, p. 390.

حتى الموت واعتقدوا أنهم بذلك يفوزون بالجنة عندما يطيعون أوامره ويقومون بقتل أي شخص حتى لو كان منهم[١٠٢٠].

وقد قام الحشاشون بدور هام في بلاد الشام في فترة الحروب الصليبية، ولكن لم يرض المماليك عن الباطنية (الحشاشون) بسبب علاقتهم المتذبذبة بين المسلمين والصليبيين، بدليل أنهم قاموا بعقد مفاوضات للصلح والسلام مع الملوك الصليبيين في مملكة عكا الصليبية، ورسموا الحدود بين الطرفين بالحجارة، وتم نقش الصلبان في الجانب المسيحي من الحدود في حين نقش السكاكين في الجانب الآخر من الأرض الخاضعة لسلطة الحشاشين[١٠٢١]، وتراوحت العلاقة بين الحشاشين والصليبيين بين المد والجذر وفقاً للظروف السياسية فحينما قام الحشاشون باغتيال ريموند الأخير ابن بوهيموند الرابع أمير أنطاكية عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م بإيعاز من الإسبتارية مقابل إعفائهم من الجزية المقررة عليهم قام الصليبيون بالانتقام منهم وشنوا عليهم هجوماً على ممتلكاتهم عام ٦١١ هـ / ١٢١٤ م وحاصروهم حصاراً شديداً حتى كادت تسقط لولا نجدة الملك الظاهر صاحب حلب[١٠٢٢].

وفي عهد المماليك عقد الظاهر بيبرس هدنة مع الإسبتارية سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٧ م اشترط عليهم الامتناع عن أخذ الضريبة التي كان يدفعها لهم الإسماعيلية الباطنية (الحشاشون)[١٠٢٣]، وفي المقابل اضطر الحشاشون لإرسال وفد منهم إلى الظاهر بيبرس في نفس العام ومعهم الأموال والذهب المقرر عليهم وقالوا: ذلك المال الذي كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه لبيت المسلمين لينفق في الجهاد[١٠٢٤]، ولكنهم

([١٠٢٠]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٧٥ ؛ بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص ٢٣١ -٢٣٢.

([١٠٢١]) بورخارد، نفسه.

([١٠٢٢]) أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي، ص ٧٤.

([١٠٢٣])شافع بن علي، حسن المناقب السرية، ص ١١٣ ؛ المقريزي، السلوك، ج١ ق٢، ص ٥٥٧.

([١٠٢٤]) النويري، نهاية الإرب، ج ٣٠، ص ١٣٤ ؛ المقريزي، نفسه، ص ٦٠٨.

ضاقوا ذراعاً بالضريبة ورفضوا الدفع فغضب الظاهر بيبرس من صارم الدين بن مبارك الرضي أحد قادة الإسماعيلية ثم عفا عنه وقلده زعامة الإسماعيلية وولاه قلعة مصياف بعد أن استولي عليها الظاهر وفرض عليه ضريبة كل عام تقدر بحوالي ١٢٠ ألف دينار[١٠٢٥].

ويدل ذلك على مدى سلطة السلاطين المماليك على الإسماعيلية في بلاد الشام بل أن السلطان الظاهر بيبرس اشترط على الإسماعيلية أن تكون مصياف وما حولها للسلطان وأرسل صاحبه صارم الدين نائباً عن السلطان بمصياف، وهكذا استطاع الظاهر بيبرس فيما بعد وبسهولة أن يستولى على حصون وقلاع الإسماعيلية ببلاد الشام واحداً بعد الآخر حتى استولى عليها جميعاً، وعندئذ انتهي أمرهم ببلاد الشام وأقطعهم السلطان بدلاً من قلاعهم بعض الجهات في مصر ليعيشوا فيها. [١٠٢٦]

- **طائفة الـدروز:**

تناول ذكر تلك الطائفة الرحالة الراهب فرانسيسكو سوريانو Francisco Souriano وذكر أنهم من المسلمين عاشوا فقراء في مدينة حلب وفي جبال لبنان وبيروت ودمشق وهم لا يتبعون ديانة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ولا مبادئه بل لديهم قواعد ونظم وعقائد مختلفة عن الطوائف الإسلامية الأخرى [١٠٢٧]

سميت تلك الطائفة بالدروز أو الموحدين، وقد انبثقوا من مذهب الإسماعيلية الشيعية، وقد بدأت في مصر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م على يد رجل يدعى حسن بن حيدرة الفرغاني الأفرم والذي كان يدعوا إلى ألوهية الحاكم في البلاد وصادف ذلك هوى في نفس الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي كان مغرماً بنفسه وتـأليه ذاته، فاستدعاه الحاكم وخلع عليه خلعة سنية

([١٠٢٥]) النويري، نفس المصدر، ص ٢٤٨ -٢٤٩ ؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ٦٨.
- مصياف: حصن شهير للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس وتنطق أحيانًا مصياب، انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١٤٤.

([١٠٢٦]) المقريزي، السلوك، ج١ ق٢، ص ٦١٠ – ٦٢٣ ؛ النويري، نهاية الإرب، ج٣٠، ص ٢٤٩ -٢٥٣.

([1027]) Souriano, Treaties on the holy Land , p. 210.

وأكرمه وأصبح الأفرم صاحب شهرة وكون أتباعاً ومريدين كثيرين. [١٠٢٨]، وبعد وفاته ظهر رجل آخر من شيعته يدعى حمزة بن على بن محمد الزروني عام ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م من بلاد الفرس وبدأ يدعوا إلى عبادة الحاكم وأن الإله حل فيه وبذلك فهو قد أعلن ألوهية الحاكم فعلياً واجتمع إليه جماعة من غلاة الشيعة الإسماعيلية وتقرب إليه الحاكم بأمر الله الفاطمي وحسن له فكرة الألوهية. [١٠٢٩]، ثم نبغ شاب من مولدي الأتراك اسمه محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف باسم أنوشتكين البخاري ويعرف بالدرزي فسلك طريق الزوزني وكثر أتباعه وظل الحاكم يقف معه سراً وترك له أمر إذاعة دعوته دون أن يورط نفسه علناً، فلما أذاع تلك العودة إلى تأليه الحاكم في الجامع الأزهر بالقاهرة، وثار عليه الناس وقصدوا قتله، ولكن الحاكم بأمر الله الفاطمي حماه وسهل له الفرار إلى بلاد الشام[١٠٣٠]، ثم انتشروا في بلاد الشام تدريجياً وأخذوا يبثون دعوتهم بين المسلمين وجاهروا بمذهبهم وخربوا المساجد وقتل كثير من أعيانهم وظلوا لفترة جماعة قليلة العدد في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ثم كثروا مرة أخرى وزاد عددهم.

ومن أفكار ومعتقدات الدروز أنهم يعتقدون بالألوهية للحاكم بأمر الله الفاطمي، وأنكروا الأنبياء والرسل جميعاً ولقبوهم بالأبالسة، وكرهوا أهل الديانات الأخرى، والمسلمين منهم خاصة ويستحلون دماءهم وأموالهم وأنكروا جميع العبادات وأحكام الإسلام وأصوله كلها، وانكروا الجنة والثواب والعقاب في الآخرة وأنكروا القرآن، وقالوا إنه من وضع سلمان الفارسي ولهم مصحف خاص بهم، ولا يقبلون احد في دينهم ولا يسمحون لأحد بالخروج منه.[١٠٣١]، وغيرها من العقائد

([١٠٢٨]) النويري، نهاية الإرب، ج ٢٨، ص ١٩٧ ؛ جمال الدين بن علي بن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق اندرية فرية، المعهد الفرنسي، القاهرة، ١٩٧٢ م، ص ٥١ – ٥٢.

([١٠٢٩]) النويري، نفس المصدر، ص ١٩٨ ؛ ابن ظافر، نفسه.

([١٠٣٠]) أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي، ص ٧٩.

([١٠٣١]) سعيد البيشاوي وآخرون، دراسات في الأديان والفرق، عمان، ١٩٩٦ م، ص ١٢٧ ؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٩٨٩م، ص ٢٢٣ -٢٢٧.

الغريبة البعيدة كل البعد عن الدين الإسلامي والشريعة والسنة النبوية لذلك يرى المسلمون أن طائفة الدروز أشد كفراً ونفاقاً كما رأى ابن تيمية أن قتالهم وقتال النصيرية أولى من قتال الأرمن لأنهم عدو في دار السلام، وعلى الرغم من ذلك فقد حاربوا خلال الحروب الصليبية إلى جانب المسلمين ضد الصليبيين.[١٠٣٢]

- **الطوائف المسيحية في مصر والشام: -**
- **الطوائف المسيحـية:**

تمتع المسيحيون منذ نشأة الدولة الإسلامية بالحرية الدينية والتسامح، فقد تولوا مناصب ووظائف هامة في الدولة، وكانت لهم الكنائس والأديرة المنتشرة في كل مكان، كما سمح لهم بالإقامة في البلاد بحرية وأمان سواء كانوا مسيحيين وطنيين أم مسيحيين وافدين قادمين من الدول الأوربية، وسمح لهم بممارسة شعائرهم ومعتقداتهم الدينية كما يحلو لهم وسهلت السلطات المحلية دخول الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة، وقدمت تسهيلات وخدمات عديدة لهم ساهمت على كثرة الوافدين الغربيين إلى الدولة الإسلامية، وقد حرص سلاطين المماليك على الالتزام بتطبيق العدالة الدينية للأقليات الدينية في الدولة المملوكية، ولكنهم في أوقات الشدة مارسوا عليهم ضغوطاً شتى بسبب عمليات القرصنة الأوربية على السواحل المصرية والشامية مما جعل السلطات المملوكية تصب غضبها على سكانها المسيحيين بصورة عشوائية وجماعية شملت الرهبان والحجاج والقناصل الأجانب، كانت تقوم بغلق أحد الأديرة والكنائس العامة وتمنع الحجاج من دخولها، أوبهدم أحد المنشآت الدينية التابعة لهم وخاصة في حالة إثارة العامة من المسلمين، ولكن سرعان ما تهدأ الأوضاع ويسود الود والسلام مرة أخرى (كما أوضحنا في الفصل التمهيدي والفصل الأول)، اختلفت تلك الفرق في مفهومها وعقيدتها وقوانينها ولغتها التي تستخدمها وكذلك في طريقة تأدية القداس والاحتفالات الدينية، كما كانت كل طائفة ترى أنها أفضل من الأخريات وتعتقد في صدق عقيدتها وحسن نيتها وتصف الأخريات بالكفر والهرطقة، ويمكن تقسيم تلك الطوائف المسيحية وفقاً لما ذكره الرحالة الأجانب إلى عشر طوائف

([١٠٣٢]) الحويري، الأوضاع الحضارية، ص ٤١.

انتشرت في مصر والشام،تلك الطوائف العشرة آمنت بقدسية المسيح وأنه المخلص للعالم وأنه استشهد على الصليب في بيت المقدس وكذلك آمنوا بوجود إله واحد في الكون وبالابن والروح القدس[١٠٣٣] وهي كالآتي: -

- **الطائفة الأولى: طائفة اللاتين الكاثوليك (طائفة الفرنسيسكان):-**

تعود طائفة الفرنسيسكان في أصولها إلى القديس فرنسيس الأسيس (٥٧٨-٦٢٣هـ) (١١٨٢– ١٢٢٦م) الذي نشأ في إقليم آسيس في شمال إيطاليا وكان يدعوا إلى اتباع حياة المسيح، والحياة مثله في زهده وتقشفه وترك حياة الترف والرفاهية لما في حياة التقشف من البساطة وهدوء العيش وسرعان ما اجتمع حوله عدد كبير من الأتباع وكونوا جماعة ديرية خاصة بهم. [١٠٣٤]، واسمه الحقيقي هو جيوفانى فرانسيسكو بيرناردو Giavanni Francesco bernardo وكان والده من أغنى تجار إيطاليا وقد جاء إلى مصر مع حملة حنا دي بريين عام ٦١٥هـ/١٢١٨م ثم دخل في الحياة الديرية والرهبنة في سن العشرين من عمره وتعهد بنفسه لأعمال التبشير في أسبانيا[١٠٣٥]، ثم عهد البابا جريجوري التاسع(١٢٢٧– ١٢٤١م) إليهم بخدمة كنيسة القيامة في بيت المقدس عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٦ م وتزعموا حراسة الأماكن المقدسة منذ عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م [١٠٣٦]، في حين يرى الراهب فيلكس فابريfilx Fabri والذي زار بيت المقدس عام٨٨٨هـ/ ١٤٨٣ م أن المسيحيين اللاتين قد تعرضوا للطرد والإيذاء من قبل المسلمين عندما استعادوا مدينة بيت المقدس عام٥٨٣هـ/ ١١٨٧ م وجرى تسليم الضريح المقدس إلى مسيحيين آخرين على شرط واحد وهو شراء الأماكن التي يرغبون فيها في داخل كنيسة

([1033]) Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff ,p. 128,Wright , Early Travelers , p. 188.

([١٠٣٤]) نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ج٢، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار عين، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٦٧١-٦٧٦.

([١٠٣٥]) محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة (٦١٥-٦١٨هـ/١٢١٨-١٢٢١م)، الاسكندرية، ١٩٨٥م، ص٣٦، حاشية (٤) ؛ Margaret ,op.cit,p.153.

([١٠٣٦]) عارف باشا، تاريخ القدس، ص ٢٤٥.

الضريح المقدس (كنيسة القيامة) وبقيت المدينة بدون مسيحيين لاتين لمدة طويلة حتى اشترى الملك الصقلي روبرت بعض الأماكن من السلطان مقابل الكثير من الذهب وسلمها إلى الرهبان الفرنسيسكان[١٠٣٧].

أكد ذلك الرحالة السير جون منديفيل sir john Mandeville الذي زار بيت المقدس عام٧٢٢هـ/ ١٣٢٢ م حيث لم يشر إلى طائفة الفرنسيسكان عند ذكره للطوائف المسيحية في حين أنه تحدث عن طوائف أخرى مثل اليعاقبة والسريان والنسطوريين والأرمن وغيرهم وعددهم تسع طوائف فقط. [١٠٣٨]، أما الأب الراهب نيكولو بوجيبونسي Nicolo piggoponsi الذي زار الشرق من عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦ إلى٧٥١هـ/ ١٣٥٠ م فلم يذكر في رحلته إلا طائفة اليونانيين والأرمن والنسطوريين واليعاقبة فقط ولم يتطرق إلى الطوائف الأخرى ولم يذكر اسم طائفة اللاتين[١٠٣٩]، ثم الراهب الأب فرانسيسكو سوريانو Francisco Souriano الذي زار الشرق أيضاً مرتين على فترات منقطعة من عام٨٨٦هـ/١٤٨١ إلى عام٩٢١هـ/ ١٥١٥م وقد تولى رئاسة تلك الطائفة قال في حديث عنها إنه بسقوط عكا عام٦٩٠هـ/١٢٩١م في أيدي المسلمين وخروج الصليبيين من بلاد الشام نهائياً قد أجبروا الفرنسيسكان على أن الانسحاب إلى جزيرة قبرص، ولكنهم ظلوا يحاولون العودة إلى الأرض المقدسة وبالفعل استطاعوا من خلاله تأسيس ديراً لهم في جبل صهيون وعند عودتهم كان الفرنسيسكان يقدمون خدماتهم للحجاج الغربيين واختاروا رئيساً لهم أطلق عليه لقب حارس جبل صهيون وكان ذلك الأب يحمل ذلك اللقب عام ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣ م[١٠٤٠].

ذلك ما أكده أحد الباحثين أنه في عام٦٩٠هـ/ ١٢٩١ م وبعد سقوط عكا في أيدي المسلمين قام البابا نيكولاس الرابع Nicolas iv(٦٨٧-٦٩٢هـ) (١٢٨٨ – ١٢٩٢ م) بتقديم طلب إلى السلطان المملوكي ليسمح له بإرسال عدد من رجال الدين

([1037]) Fabri ,The Wandering, p. Vol 1 part 2, p. 438.

([1038]) Wright , Early Travelers , pp. 188 – 189.

([1039]) Nicolo , A voyage Beyond the seas , pp. 124 -126.

([1040]) Souriano , Treaties on the holy Land , p. 3.

إلى كنيسة الضريح المقدس، فوافق السلطان على ذلك وأصبح ذلك البابا نفسه من الفرنسيسكان وأرسل فريقاً من الراهبات اللاتين إلى بيت المقدس، ولم يكن لهم ديرً ودخل مادي ولكن كانوا يقيمون في فندق الحجاج المعروف بـ (مستشفى القديس يوحنا)، وفي عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م طلب الملك روبرت الصقلي من السلطان المملوكي أن يسمح للفرنسيسكان بحماية وإدارة كنيسة جبل صهيون وكنيسة القديسة مريم في كنيسة الضريح وكهف الميلاد فوافق السلطان أيضاً، ومنذ ذلك الوقت أصبحت كنيسة صهيون فرنسيسكانية ومركزاً للمسيحيين وأصبح رئيسها هو القيم وحارس الدير والمسئول عن كل المسيحيين الشرقيين [١٠٤١]، بالإضافة إلى أن ملك أراجون خايم الثاني Jam ii (٦٩١-٧٢٨هـ) (١٢٩١ – ١٣٢٧ م) قد أرسل رسالتين إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأولى في عام٧٢٢ هـ/ ١٣٢٢ م طلب فيها موافقة السلطان على السماح لرهبان الدومينيكان بحراسة وإدارة القبر المقدس وقد وافق بالفعل على ذلك وسمح لهم بالإدارة، والرسالة الثانية في عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٧ م أرسلها نفس الملك الأراجوني مع السفير بيرو دي مجا نليpero de Micaville طلب فيها من السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن يسمح بإحلال الفرنسيسكان الأراجونيين محل الدومينيكان الأراجونيين في خدمة القبر المقدس[١٠٤٢]، وهكذا توضح تلك الأدلة والوثائق الرسمية أن الفرنسيسكان لم يكونوا موجودين في بيت المقدس لفترة طويلة.

وأكد فريسكوبالدي Frescobaldi وجيوشي Gucci اللذان زارا بيت المقدس عام٧٨٦هـ/ ١٣٨٤ م أنه كان لهؤلاء الفرنسيسكان كنيسة جميلة يسكنونها ولهم رئيس وحوالي ثمانية من الراهبات قاموا على خدمة الحجاج المسيحيين[١٠٤٣].

هؤلاء الفرنسيسكان هم كاثوليك حقيقيون ومحافظون وهم أفضل الطوائف

([1041]) Armstrong ,(K.), A history of Jerusalem ,one city, three faiths , U.S.A , 1997, pp. 307 -308

([1042]) Atiya ,(A.S.), Egypt and Aragon , Leipzig 1938 , pp. 44 -45 , 53 -55.

([1043]) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places, pp. 75, 157.

المسيحية ورهبان أتقياء محترفون ونيابة عن المسيحيين اللاتين كان يبقي الرهبان على الأقل ثلاثة منهم في الكنيسة الرومانية اللاتينية ويعيشون حياة إنجيلية في ظل نظام دقيق. (١٠٤٤)، وقد تولوا إدارة الضريح المقدس وكانوا يشعلون فيه ثلاثة مصابيح وزودوا بالزيت والنار وامتلكوا أيضاً كنيسة السيدة العذراء، وتلوا القداس ولم يستطع أحد إقامة القداس بدون إذنهم، وكان لديهم خلف الكنيسة غرف للنوم ومطبخ، وفي تلك الكنيسة أيضاً ثلاثة مصابيح لهم ومذبح على جبل الصلب، ومذبح آخر في كنيسة القديسة هيلانة حيث وجد الصليب المقدس(١٠٤٥).

أما عن رئيس تلك الطائفة الذي كان يلقب بـ حارس جبل صهيون

أو القيم على دير صهيون فإننا يمكن توضيح اختصاصاته ومهامه من خلال الأب سوريانو Souriano الذي تولى ذلك المنصب مرتين.فقد كان يشترط فيه أن يكون من أبناء الطائفة وغالباً ما يكون إيطالي المولد والمنشأ، ويعينه البابا كل ثلاث سنوات وله نائب ووكيل للطائفة أسباني الجنسية، ويعين مدى الحياة ليدير ممتلكاتهم، ومن مهام واختصاصات حارس الدير أنه يرأس أبناء الطائفة ولا يستطيع أحد من الرهبان مهما كان أن يعيش مع الطائفة بدون تصريح منه شخصياً، ومن حقه فصل وطرد أي راهب لا ينفذ أوامره، ومن سلطته أيضاً إرسال الرهبان إلى أنحاء العالم لجمع الأموال والصدقات والنذور، ومن حقه أن يرسل أي راهب إلى أي مكان يريده دون اعتراض منه على ذلك، وله الحق في أن يقبل في الطائفة كل من يريده من الرجال والنساء

(1044) Fabri ,The Wandering ,vol 1 part 2 , pp. 431 -432.

(1045) Fabri ,The Wandering ,vol 1 part 2 , p.433 , Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff, p. 203, Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud, pp.95 -96.

- القديسة هيلانة: ولدت في آسيا الصغرى وعندما وصلت سن الرشد عملت في خمارة وتزوجها قسطنطيوس وانجبت قسطنطين سنة ٢٧٤م واعتنقت المسيحية واصبحت قديسة ولعبت دوراً في اعتراف ابنها قسطنطين الكبير بالمسيحية كما عملت على رفع شأن هذه الديانة في جميع أنحاء الإمبراطورية فزارت بيت المقدس حيث وزعت العطايا والهبات بسخاء كما اسهمت في تشييد كثير من الكنائس، محمد حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م.

الذين يريدون الانضمام إلى طائفة الفرنسيسكان، ومن حقه تعيين المبشرين والدعاة، ويقوم بمنح الفقراء وتخليص المسيحيين من الشرور والمعاصي فيما عدا القتل والزواج من امرأة أخرى، كذلك عقد عقود الزواج وإعلانه أو إبطاله، كما كان من حقه فرض عقوبة الحرمان على أفراد الطائفة ومعاقبة رجال الدين الذين يحضرون إلى الأرض المقدسة بدون تصريح من رؤسائهم، فرض بعض أيام الصيام كما كان من حقه إقامة الطقوس الدينية من منتصف الليل وحتى الصباح ومن اختصاصاته أيضاً أن يرافق الحجاج إلى بيت المقدس ويستقبلهم عند ميناء يافا ويرشدهم إلى زيارة الأماكن المقدسة ثم يعود بهم إلى يافا مرة أخرى[١٠٤٦].

تناقصت أعداد طائفة الفرنسيسكان باستمرار وكان عددهم قليلاً بالنسبة للطوائف الأخرى وخير دليل على ذلك ما ذكره الرحالة لابروكيير la broquiere عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م أنهم كانوا حوالي ٤٢ راهب في دير جبل صهيون[١٠٤٧]، وفي عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م ذكر فيلكس فابري Filx Fabri أن عددهم وصل إلى ٢٤ راهباً فقط. [١٠٤٨]، وفي عام٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م وصل عددهم إلى ٢٠ راهباً فقط وفي دير اللاتين بالقدس خمسة أو ستة رهبان، وفي بيت لحم خمسة رهبان فقط [١٠٤٩]، وذلك يعني أن عدد أفراد طائفة الفرنسيسكان ظل يتناقص وخاصة في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، أما الراهبات الفرنسيسكان في جبل صهيون فقد بلغ عددهن ١١راهبة فقط [١٠٥٠]، وهؤلاء النساء كن من السيدات الإيطاليات المسنات كبار السن وكن يقمن بخدمة الرهبان والحجاج الوافدين، حيث قمن بغسل وحياكة الملابس فضلاً عن العبادة والصلاة في الكنيسة، وقد عاش بعض الرحالة في الدير وقابلوا ترحاب وحسن معاملة من الراهبات حيث أعددن لهم الطعام

([1046]) Souriano , Treaties on the holy Land , pp. 5 , 79 – 80.

([1047]) Wright , Early Travelers , p. 287.

([1048]) Fabri , the wandering, vol 1 part 2 , p. 431.

([1049]) Baumgarten , The Travel of Martin Baumgarten , p. 646.

([1050]) Souriano , op.cit , p. 131.

والشراب وغسلن الملابس وقدمن كل الخدمات اللازمة للحجاج[١٠٥١]، ويبدوا أن تلك الطائفة قد عاشت حياة من البؤس والشقاء في بداية وجودهم في بيت المقدس، حيث اعتمدوا على الصدقات والتبرعات من الغرباء ومن الملوك والأمراء الأوربيين، ولم يمتلكوا سوى بغلة واحدة في تنقلاتهم كانت لرئيس الطائفة، بالإضافة إلى ثلاثة حمير فقط، كما لم يكن لديهم سوى حجرات قليلة وكان لكل راهب حجرة بمفرده إلا في عيد الفصح عندما يزيد عدد الحجاج ينام كل ٣ أو ٤ رهبان حجرة واحدة [١٠٥٢].

قام الرهبان الفرنسيسكان بأعمال وخدمات عديدة أهمها، خدمة التبشير والدعوة إلى الديانة المسيحية وخاصة مع الجماعات والطوائف المسيحية المرتدة والذين بدلوا وغيروا في العقيدة المسيحية الصحيحة، وقد عمد هؤلاء الرهبان إلى التبشير بين العناصر المسيحية المحلية، ففي عام٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م حدث اتصال بين طائفة الأرمن وبين الرهبان الفرنسيسكان محاولة منهم لإخضاع الأرمن لسلطة كنيسة روما وبالفعل نجحت المحاولة وخضع الأرمن للكنيسة الرومانية لمدة عشر سنوات، ثم عادوا إلى ما كانوا عليه من التمرد والانحراف، ثم قام الرهبان الفرنسيسكان بنفس الفعل بين البابوية وطائفة الموارنة، كما حاولوا مع المسلمين ولكنهم فشلوا وقوبلوا بالكثير من المعارضة بدليل مهاجمة المسلمين لدير جبل صهيون عدة مرات والاستيلاء علي ما يحلوا لهم من الطعام والشراب والفاكهة، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن جماعة الفرنسيسكان كونوا جماعة مسلحة للدفاع عن الحجاج المسيحيين على اعتبار أنهم مسئولون عن حمايتهم ضد المماليك والمسلمين والبدو واللصوص[١٠٥٣].

بالإضافة إلى دورهم الخاص بحماية الحجاج المسيحيين والقيام بدور المرشد لهم عند زيارتهم للأراضي المقدسة ومرافقتهم في أي مكان يذهبون إليه، حيث لم يكن في استطاعة الحجاج أن يتحركوا من السفينة في ميناء يافا إلا بعد حضور أمير الرملة

([1051]) L.O.C , Fabri , the wandering, vol 1 part 1, p. 311.

([1052]) Souriano ,op.cit , pp. 6,75 , 84.

([1053]) Souriano , Treaties on the holy Land,p.14,5.

ونائب القدس ورئيس دير صهيون فهو بمثابة المسئول الأول عنهم والمرشد من يافا إلى بيت المقدس[١٠٥٤]، فكذلك كان لهم دور في اصطحاب الحجاج إلى بئر الأردن، ثم بيت لحم والناصرة، والأماكن المقدسة الأخرى مع الشرح والتفصيل والتوضيح، وتوفير أماكن للسكن والإقامة لهم ثم العودة بهم إلى ميناء يافا مرة أخرى استعداداً للعودة إلى ديارهم[١٠٥٥].

- **الطائفة الثانية: (اللاتين الأرثوذكس) طائفة الإغريق اليونانيون):**

تعد طائفة اليونانيين من الطوائف المسيحية الهامة في الدولة المملوكية والتي وجدت في مصر والشام وأعتبرهم بعض الرحالة أنهم أشقياء وهراطقة، وأنهم أعداء حقيقيين للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وقد انشقوا عنها عدة مرات، ثم عادوا إليها ثم استمروا في الوقوع في الأخطاء والآثام. [١٠٥٦]، وهم أيضاً مختلفون عن الطوائف الأخرى في عدة أمور هامة في العقيدة منها، أنهم لم يعتقدوا أن الروح القدس قد صدرت من الابن بل من الأب فقط، واعلنوا بأن أرواح الموتى ليست في الجنة ولا في النار وذلك قبل أن يصدر عليها الحكم في يوم الحساب وبذلك فإنهم انكروا عقيدة التطهير، وليس لديهم سر القربان المقدس، وليس لديهم أيضاً فكرة العذاب بعد الموت بل قام الرهبان اليونانيون عند اعتراف الآثمين والمجرمين بالمساومة على المبلغ الذي يدفعه الآثم مقابل الحصول على الغفران الخطايا[١٠٥٧]، وفي يوم عيد الجمعة الطيبة من كل عام كانوا يعلنون الحرمان الكنسي على بابا روما ورجال الدين الرومان، وقالوا بأن الكنيسة الرومانية تخطئ عند التعميد وتخطئ كذلك

(١٠٥٤) بيرو طافور، رحلة طافور، ص ٤٣،

Casola , Pilgrimage to Jerusalem, pp. 227 -237 , Fabri , The Wandering , vol 1 part 1 , pp. 218 -224.

(1055) Fabri , Ibid , vol 1 part1 , p. 254.

(١٠٥٦) بورخارد، وصف الراضي المقدسة، ص ١٧٣ ؛

Ibid , vol 1 part 2 , p. 434 , Souriano , op.cit, p. 84

(1057) Fabri , The Wandering , vol 2 part 2, p. 386 , Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 97, Souriano , op.cit , p.84.

باستخدام الخبز المختمر، وأنها ليست رأس المسيحية وهناك أربعة أبرشيات لا تطيعها[١٠٥٨]، وليس لديهم نظام أو قانون في الصيام حيث إنهم كانوا يصومون أياماً كثيرة بلغت ٧٠ يوماً، وفيه يسمح لهم بأكل اللحوم شيئاً فشيئاً في الأسبوع الأول، ثم البيض والجبن والزبد في الأسبوع الثاني، أما باقي أيام الصيام الأخرى مثل صوم الخمسين (صوم عيد القيامة) فلا يأكلون شيئاً به دماء، ويصومون كذلك للسيدة العذراء، وفي عيد الميلاد وأعياد الرسل[١٠٥٩].

كما اختلف اليونانيون عن بقية الطوائف اللاتينية في الاحتفال بتقديم الأضحية وإقامة القداس، حيث وجد في كنائسهم مذبح واحد فقط ويقام قداس واحد فقط في اليوم، ولم يسمحوا باستخدام الأجراس، بل كان الأسقف يصعد على البرج ويضع حول رقبته مسطرة خشبية، و يحمل في يديه مطرقة ويطرق بها على جانبي المسطرة لتصدر صوتاً عالياً، وهم أيضاً لا يغنون بالصوت ولا باستخدام النوتة الموسيقية بل يستخدمون أيديهم لأعلى ولأسفل وفقاً للملاحظات والإرشادات التي يقوم بها الأسقف، وعندما يقدم الأضحية يأخذون رغيف خبز ويقطعون منه شريحة من المنتصف ويقدمونها للكاهن الذي يرفعها لأعلى أمام الناس الذين ينظرون إلى الأرض ويقولون أنهم لا شيء ولا يستحقون تلك الشريحة[١٠٦٠].

وقد امتلك اليونانيون أماكن معينة في كنيسة الضريح المقدس مثل بقية الطوائف الأخرى، مثل مكان سدة الجوقة، والمذبح العالي، كما احتفظوا بعدد كبير من المصابيح المشتعلة أمامه، وكذلك المكان الذي سجن فيه السيد المسيح، وعلى جبل الصلب لديهم مذبحين، وكذلك لديهم مصباح مشتعل في كنيسة القديسة هيلانة، وفي المكان الذي ولد فيه القديس يوحنا المبشر، وفي كنيسة القديس جورج[١٠٦١].

عاشت الطائفة اليونانية حياة الفقر والبؤس والشقاء سواء في مصر

([1058]) Souriano , Treaties on the holy Land , p.84.

([1059]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 97.

([1060]) Nicolo , A voyage Beyond the seas , p. 124.

([1061]) Fabri, The Wandering , vol 1 part 2 , p. 434 , Souriano , Treaties on the holy Land, p. 87 , Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff , p. 203.

أو الشام، حيث كانوا يقيمون في منزل عظيم واسع في ساحة كنيسة الضريح المقدس وبه العديد من الغرف والقاعات المقنطرة، وهو ملاصق للجهة الغربية من كنيسة الضريح وقد بلغت ملاصقته حداً أن في القاعة الرئيسية منه نافذة موجودة في جدار كنيسة الضريح ومن خلالها يمكن للإنسان مشاهدة الضريح المقدس، وكان يعيش فيه ١٠٠ شخص في راحة وسعادة، أما في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي كان عدد اليونانيين قليلاً جداً، وكان ذلك المنزل فيما مضى سكناً لإقامة ملوك القدس الذين عاشوا هناك من أجل أن يكونوا دوماً على مقربة من الضريح الأعظم قداسة، وجرت العادة في أيام الملوك اللاتين أن يعطي كل يوم ثلاثة أرغفة من الخبز إلى الحجاج وعندما استرد السلطان (صلاح الدين الأيوبي) المدينة المقدسة حافظ على تلك الصدقات لسنين كثيرة لكن ذلك قد تلاشي أيام زيارة فيلكس فابري filx Fabri عام٨٨٨هـ/ ١٤٨٤ م وبطل استخدامه، أما المنزل نفسه فقد أصبح مهدداً بالسقوط والخراب من كل جانب بل إن أجزاءاً كثيرة منه قد تحولت إلى خراب ولم يستطيعوا ترميمه أو إعادة الأجزاء المتهدمة، وقد سكنه حجاج إغريق عندما كانوا في القدس وأطلقوا عليه اسم قصر بطريرك الإغريق. [١٠٦٢]، وفي مصر عاشوا في دير القديس أنطوان في الصحراء الشرقية وارتدوا ملابس رمادية اللون وعاشوا حياة بائسة[١٠٦٣].

هؤلاء اليونانيون كرهوا اللاتين بشدة كراهية أشد من كراهيتهم للمسلمين، ولذلك فقد انفصلوا عن كنيسة روما وانتموا إلى كنيسة القسطنطينية، وكان بابا الكنيسة اليونانية مسئولاً عن تعيين رجال الدين والأساقفة والقساوسة، في حين سمح البابا ببيع اليونانيين عبيداً، وقد رأي الراهب نيكولو بوجيبونسي Nicolo piggoponsi التجار الأوربيين يجمعون عبيداً منهم لبيعهم في الأسواق كما لو أنهم حيوانات، وتتم المساومة على أسعارهم حتى يرتفع السعر العبد[١٠٦٤].

([1062]) Fabri The Wandering , vol 1part 2, p. 394.

([1063]) Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff , p. 100.

([1064]) Nicolo , , A voyage Beyond the seas, p. 124.

ذكر الراهب بورخارد burchard الذي كان رئيس دير جبل صهيون أن هؤلاء اليونانيين أتقياء وهم يوقرون ويبجلون أساقفتهم بشكل عظيم في معظم الأوقات، وقد سمع من أحد البطاركة اليونانيين يقول: سوف نجتهد في طاعة الكنيسة وتقديسها عن طيب خاطر منا ولكنني مندهش أن أحتل مكانة ضمن رجال الدين الأقل شأناً مثل رؤساء الأساقفة وقد أراد بعض رؤساء الأساقفة جعلي بطريركاً وأن أُقبل أقدامهم وأقوم بخدمات شخصية لهم وذلك الشيء لا أجبر عليه إلا إذا رغبت عن طيب خاطر مني وسأفعل ذلك من أجل البابا وليس لأجل أحد غيره[١٠٦٥].

- **الطائفة الثالثة: طائفة الموارنة:**

الموارنة طائفة من النصارى الكاثوليك الشرقيين يعرف من تاريخهم أنهم ينتسبون إلى القديس مارون القورسي الزعيم الروحي والمعلم الأول للطائفة، والذى اعتزل الدنيا في أواخر القرن الرابع الميلادي، ولجأ إلى صومعة في قمة جبل ليس بعيداً عن أنطاكية، وما لبث أن جذب إليه جماعات عديدة قصدوه ليلتمسوا منه بركته وصلواته ويسترشدوا بتعاليمه، وبعد أن توفي عمد تلاميذه إلى نقل جثمانه إلى مكان قرب أفامية على نهر العاصي وأقاموا فوقه ديراً على اسمه تخليداً لذكراه، ثم تولى إدارة الجماعة الزعيم الحقيقي يوحنا مارون المتوفي عام ٨٩هـ/ ٧٠٧م وكان الزعيم الدنيوي ومؤسس كيانها وبفضله تشكلت وتكونت الطائفة، وأخذ الموارنة ينزحون إلى البلاد المجاورة منهم إلى سوريا الداخلية وحلب ولبنان وقويت شوكتهم وزاد نفوذهم منذ القرن العاشر الميلادي، وبلغ عدد رجالهم المسلحين حوالي ٤٠ ألفاً واستغلوا الأرض وبنوا المساكن والمعابد وحققوا لأنفسهم كياناً مستقلاً[١٠٦٦].

كما وصفهم أحد الرهبان الرحالة بأنهم أذكياء وأقوياء وتميزوا

([١٠٦٥]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٧٣.

([١٠٦٦]) محمد كرد، خطط الشام، ج٦، ص ٢٣٠- ٢٣١ ؛ احمد رمضان، المجتمع الإسلامي، ص ٦٢-٦٤ ؛ محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص ٨٨.

- أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٧٧.

بالمهارة في القتال فقد تمرسوا في فنون القتال والحرب وتعلموا رمي السهام واستخدموا الطرق الحربية والأسلحة الإيطالية في القتال منذ أيام الحروب الصليبية [١٠٦٧] وهم أيضاً هراطقة رفضوا الانضمام إلى الكنيسة الرومانية وانفصلوا عنها منذ زمن طويل ثم عادوا مرة أخرى ولكنهم سرعان ما انفصلوا ثانية [١٠٦٨]، ففي عهد البابا إنوسنت الثالث Innocent iii (١١٩٨ – ١٢١٦ م) خرجوا عن طاعة الكنيسة، ثم عادوا عدة مرات، ثم تمردوا مرة أخرى وظلوا على أخطائهم وإثمهم حتى عهد الأب Messer of pietro الأمالفي وهو كاردينال كان تابعا للقديس مرقص أرسله البابا إنوسنت الثالث (٥٩٥-٦١٢هـ) (١١٩٨-١٢١٦م) إلى أمم الشرق للتبشير والدعوة وبالفعل استطاع إرجاعهم إلى حظيرة البابوية[١٠٦٩]، وقد استخدموا في أحاديثهم اللغة العربية مثل المسلمين ولكن في طقوسهم استخدموا اللغة الكلدانية[١٠٧٠].

أما عن نظام حياتهم فقد اتبعوا نظم وتعاليم القديس باسيل basil (٣٢٩- ٣٧٩ م) لديهم خمسة أعياد في السنة وتميزوا بالزهد والتقوى وخاصة في أثناء الصيام الكبير، وكانوا لا يشربون الخمر ولا يأكلون السمك بل اعتمدوا في طعامهم على الأعشاب والفواكه والحساء، ومن بينهم نساك عاشوا في الوادي، والبعض منهم كان يأكل ثلاث مرات في الأسبوع أو مرتين فقط، وأحيانا يتلون القداس والصلوات في الليل مع البطريرك على السجادة. [١٠٧١]، وهكذا فإن طائفة الموارنة

([1067]) Souriano , Treaties on the holy Land, p. 81.

([1068]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p.99, Fabri , the wandering, vol 2 part 2 , p. 389.

([1069]) Souriano , op.cit,p. 81.

([1070]) Fabri , the wandering, vol 2 part2 , p. 389.

- الكلدانية: تشير إلي الشعب القديم في بلاد الرافدين الجنوبي أو لمجموعة بشرية معاصرة تقطن العراق وسوريا ولبنان، والكلدانية هي طائفة مسيحية معظم أفرادها من السريان المشارقة وتعني " اللغة السريانية " وهي من سلالة اللغة الآرامية لغة السيد المسيح، انظر موقع، موسوعة الويكيبيديا العربية، مادة " الكلدانية ".http://ar.wikipedia.org

([1071]) Souriano , op.cit, p. 83.

من النصارى الكاثوليك الشرقيين الذين كانوا دائماً على خلاف مع معظم الطوائف الأرثوذكس لأنهم يقولون إن للمسيح طبيعتين بشرية وإلهيه ومشيئة واحدة وقد اتخذوا من لبنان مركزاً لهم، وقد أعلنوا طاعتهم لبابا روما عام ١١٨٢م وتعاونوا مع الصليبين إبان الحروب الصليبية[١٠٧٢].

- **الطائفة الرابعة: طائفة الجورجيون (الكرج):**

تأسست تلك الطائفة على يد القديسة La Samaritaine وكانت أسيرة قبطية، طاهرة وشفافة النفس وقامت بأعمال جليلة حيث قامت بشفاء إحدى الملكات في بلاد الكرج، والتي كانت تعاني من مرض عضال، وكانت على مشارف الموت فاستطاعت شفاءها بطريقة إعجازية، وبعد وفاتها تولى أمر الجماعة القديس جورج، وكانوا يحملون شعاره أثناء حروبهم ضد الهراطقة والأعداء، ولذلك أطلق عليهم طائفة الجورجيون، وكانوا يقدسونه أكثر من أي قديس آخر ويبتهلون إليه ليساعدهم ويخلصهم من الشرور والآثام[١٠٧٣].

هؤلاء الجورجيون كانوا رجال حرب منذ ولادتهم إلى حد أنهم انتشروا في أنحاء الشرق وعبروا إلى حيثما أرادوا دون أية إعاقة ودون دفع جزية، كما سمح للنساء لديهم باستخدام السلاح أيضاً، وكن يتدربن على فنون القتال مثلهم مثل الرجال، وبينهم وبين الأرمن حروب إلى درجة الفناء وهم ملوثون بالآثام وهراطقة موصمون بالخطيئة والإثم الواضح[١٠٧٤]، كما أنهم شربوا الخمر بشراهة واعتبروا ألد أعداء الرهبان الفرنسيسكان مثل اليونانيين، كما أنهم اعتادوا حلق رؤوسهم جميعاً وخاصة عند قمة الرأس، أما رجال الدين فكانوا يحلقون رؤوسهم بشكل مستدير بينما يحلق والعلمانيين رؤوسهم بشكل مربع[١٠٧٥]، وامتلكوا جبل الصلب ولديهم دوماً حديقة الصخرة المقدسة الملحقة بالكنيسة، ولم يمتلكوا ذلك المكان المقدس منذ

([١٠٧٢]) محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص ٨٨ -٩١.

([1073]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 102 .

([1074]) Fabri , the wandering, vol 2 part 2 , p. 389 .

([1075]) Souriano , Treaties on the holy Land ,p.87.

زمن طويل بل امتلكوه منذ خمس عشرة سنة مضت لأنهم قدموا هدايا إلى السلطان المملوكي الذي طرد الأرمن منه ووضع الجورجيين في مكانهم، وهم أيضاً امتلكوا مكان وكهف اكتشاف الصليب المقدس ولهم فيها ثلاثة مصابيح[١٠٧٦]، كما ذكر تينو أنهم كانوا امتلكوا كنيسة الصليب، أو ما تسمى بكنيسة المصلبية[١٠٧٧]، والتي كانت بظاهر القدس من جهة الغرب، وقد أخذها المسلمون من النصارى في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وفي عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م وصلت رسل من جهة ملك الكرج وملك القسطنطينية وطلب إعادة الكنيسة للكرج وبالفعل استطاعوا الحصول على تلك الكنيسة[١٠٧٨].

كما أنهم اتفقوا مع اليونانيين في صلاة القداس واختلفوا مع بقية الطوائف، فقد كان الكاهن يعد سراً قطعة كبيرة من الخبز تزن حوالي ١٢ أوقية، ويضع في الكأس أقل من ٤ مكاييل من عصير الكروم حيث يسمعه كل الناس الحاضرون، ثم يضع قطع الأضحية في كأس العشاء الرباني، ويتناول الكاهن الأضحية بمعلقة ذهبية أو فضية، ثم يقدم الأضحية لمن يريد ذلك[١٠٧٩].

- **الطائفة الخامسة: طائفة الأرمن:**

الأرمن ينتمون إلى الجنس الآري وهم مزيج من شعوب البلقان وجبال الألب الذين نزحوا شرقاً واختلطوا بشعوب القوقاز[١٠٨٠]، ودخلوا في الدين المسيحي منذ القرن الثالث الميلادي، وجاءوا إلي القدس علي شكل حجاج في القرن الرابع الميلادي وكان عددهم كبيراً في العصر البيزنطي[١٠٨١]، وجاء الأرمن من منطقة

([1076]) Fabri , the wandering, vol 1part 2 , p. 435.

([1077]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 103.

([١٠٧٨]) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص ٥١ ؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص ٣٧٨ ؛ بيبرس الدودار، زبدة الفكرة، ص ٣٦٥

([1079]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 103 ,Nicolo , A voyage Beyond the seas , p.125.

([١٠٨٠]) ماهر يونان، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ١١٣.

([١٠٨١]) عارف العارف، المسيحية في القدس، القدس، ١٩٥١ م، ص ٦٠.

أرمينية الصغرى منذ وقت طويل وهم فرسان شجعان أقوياء ولديهم طقوس وشعائر مختلفة عن باقي المسيحيين، وهم أيضاً أشد عداءاً للجورجيين واليونانيين[١٠٨٢]، وكانوا يقيمون القداس باللهجة العامية ولذلك كانت مفهومة للجميع، ولا يحتفلون بعيد الميلاد لأنهم يعتقدون أن السيدة مريم العذراء لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر مثل باقية النساء بل إن الروح القدس قد دخلت جسدها عن طريق الأذن فمر بداخلها كالريح ولكنهم احتفلوا بعيد الميلاد مع عيد الغطاس في بيت لحم[١٠٨٣]، كما حافظوا على الصوم الكبير بطريقة صارمة جداً لدرجة أنهم امتنعوا عن أكل السمك والزيت وشرب النبيذ مع إنهم كانوا يأكلون الخضار والفواكه بكميات كبيرة لأنهم لم يمزجوا الماء بالخمر أثناء تأدية القداس ويأكلون اللحوم أيام الجمعة فقط، وفي ثلاثة أيام فقط هي يوم البشارة، ويوم أحد السعف، ويوم خميس العهد، ولم يستخدموا الزيت ولم يؤمنوا كذلك بعقيدة التطهير كما شاركوا اليعاقبة في أخطائهم وآرائهم عن السيد المسيح[١٠٨٤].

عاش الأرمن المسيحيون في كنيسة بيت لحم ذكوراً وإناثاً وكانوا دائمي الصراخ والبكاء[١٠٨٥]، كما امتلكوا كنيسة القديس جيمس[١٠٨٦]، والتي تسمى دير مار يعقوب وقد تم تجديده في أواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي [١٠٨٧]، كما كانت لهم كنيسة صغيرة في كنيسة الضريح المقدس أيضاً [١٠٨٨]، [١٠٨٨]، وعلى جبل صهيون كانت لديهم كنيسة أخرى صغيرة تسمى كنيسة المخلص والتي كانت منزل السيدة حنا أم السيدة مريم العذراء[١٠٨٩].

([1082]) Souriano, Treaties on the holy Land , p. 88.

([1083]) Souriano ,op.cit , p. 88 , Fabri , The Wandering , vol 1 part 2, p. 388.

([1084]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p.104 , Souriano , op.cit , p. 88 , Fabri , Ibid , vol 2 part2 , p. 389.

([1085]) Casola , Pilgrimage to Jerusalem, p. 263.

([1086]) Souriano , op.cit , p. 88.

([١٠٨٧]) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص ٥١.

([1088]) Souriano, Treaties on the holy Land, p. 88.

([1089]) Nicolo , A voyage Beyond the seas , p. 30 , Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 104.

- **الطائفة السادسة: طائفة اليعاقبة:**

ينتمون إلى القديس جيمس الهرطقي بطريرك الإسكندرية الذي استطاع نشر مذهبه في جزء كبير من شرق آسيا وفي مصر وإثيوبيا وبعض المناطق الأخرى[١٠٩٠]، وسمى ذلك القديس في المصادر العربية باسم يعقوب وهو نفسه الراهب ديسقورس وربما نسبت تلك الجماعة إلى أحد تلاميذه الذي كان اسمه يعقوب، وعلى أية حال فإنهم أتباع مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح[١٠٩١]، حيث أنهم آمنوا بأن السيد المسيح وبعد قيامه من الموت لم يعد له نفس الطبيعة البشرية ولذا فإنه ذو طبيعة واحدة فقط إما بشرية أو إلهية وليست طبيعة مزدوجة[١٠٩٢]، ومن عقائدهم أنهم حافظوا على عقيدة الختان ولكنهم كانوا يقومون به قبل التعميد، واستخدموا اللغة العربية و الكلدانية معاً في تأدية القداس، وقد تميزوا بالمراوغة والدهاء وقد طردتهم الكنيسة الإغريقية عدة مرات بقرارات من بطريرك القسطنطينية منذ زمن طويل، وهم يحبون الفرنجة والرهبان الفرنسيسكان بشدة، بينما يكرهون اليونانيين والأمم الأخرى كراهية عارمة باستثناء الأحباش[١٠٩٣].

وقد رآهم الراهب نيكولو بوجيبونسي Nicolo piggoponsi في الإسكندرية وحضر معهم القداس حيث جلس الرجال والنساء على الأرض ولم يسمح لأحد بالاقتراب من المذبح باستثناء الشماس ولم يرتدوا عمامة على الرأس بل وشاحاً طويلاً يصل من الكتف إلى الأرض وعندما يغنون الإنجيل لا يقفون مثل اللاتين بل يغنون جالسين ويذهب الناس لتقبيل أقدام القساوسة الذين يرتلون القداس ويحملون في أيديهم الشموع وهم جالسون على الأرض كما هم[١٠٩٤]، كما امتلكوا في الإسكندرية كنيسة

([1090]) Souriano ,op.cit, p. 91.

([١٠٩١]) القلقشندى، صبح الأعشي، ج١٣، ص ٢٧٨.

([1092]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 101 , Souriano , op.ci t, p. 91.

([1093]) Fabri , the wandering, vol 2 part 2, p. 387 , Souriano , Ibid , Schefer , Ibid.

([1094]) Nicolo , A voyage Beyond the seas , p. 126.

خاصة بهم وهي كنيسة القديس مرقص وقد أعيد بناؤها عدة مرات [١٠٩٥] وفي بلاد الشام كان لديهم معبد به مذبح خلف الضريح المقدس، وكذلك مكان بجوار الباب حيث وضعوا السيد المسيح بعد الصلب ولديهم ثمانية مصابيح مضاءة هناك [١٠٩٦].

- **الطائفة السابعة: طائفة الأحباش:-**

تنصر الأحباش خلال القرن الرابع الميلادي وجاءوا إلى القدس رغبة في زيارة بيت المقدس وعاشوا فيها منذ ذلك الوقت ولهم فيها كنائس وأديرة كثيرة ولكنهم كانوا يتنازلون عنها ولم يبق في أيديهم سوى دير الحبش الملاصق لكنيسة القيامة فوق مغارة الصلب وقيل إنه جزء من دير السلطان للأقباط مما أدى إلى حدوث خلافات مستمرة بين الأحباش والأقباط[١٠٩٧]، كما أنه عندما أصبحت دولة الحبشة دولة مسيحية اتبعت كنيستها الكنيسة المرقصية بالإسكندرية واعتمدت على تولي المطران عن طريق كنيسة الإسكندرية حيث كان ملك الحبشة يرسل رسالتين إلى بطريرك الكنيسة والسلطان المملوكي لتولية بطريرك مصري للكنيسة الحبشية، وبذلك ارتبط الأحباش بالدولة المملوكية[١٠٩٨]، وقد اعترف الأحباش ببطريرك الإسكندرية القبطي منذ وقت طويل رئيسا دينيا لهم فأصبحت الكنيسة الحبشية ابنة الكنيسة القبطية ولا يعرف بالضبط تاريخ تواجدهم في القدس والأغلب أن فئة الأحباش الذين سكنوا القدس قد نزلوها بعد تنصيرهم بقليل وكان رئيس ديرهم بالقدس ينصب من قبل بطريرك الأقباط بمصر ومن هنا جاء النفوذ القبطي وتأثيره في الحياة الحبشية [١٠٩٩]، وحتى عندما كان السلطان المملوكي يرسل أحد المطارنة الغير قادرين على تولي مسئولية الكنيسة الحبشية فكان من حق ملك الحبشة أن يرسل للسلطان مرة أخرى ليتم تغيير ذلك المطران مثلما حدث أيام المنصور قلاوون فقد أرسل ملك الحبشة إليه رسالة

([١٠٩٥]) الوزان، وصف أفريقيا، ص ٥٧٣.

([1096]) Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff , p. 204

([١٠٩٧]) العارف، تاريخ القدس، ص ٢٥٤.

([١٠٩٨]) سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

([١٠٩٩]) العارف، المسيحية في القدس، ص ١٣٢ -١٣٥.

يرفض فيها وجود المطران السرياني ويعتذر له عن ذلك ويطلب منه إرسال مطران آخر وقد استجاب السلطان المنصور قلاوون لرجاء ملك الحبشة بالفعل[١١٠٠].

ثمة مظهر آخر للعلاقات القوية بين الأحباش والسلاطين المماليك تمثل في مرور الحجاج الأحباش بمصر في طريقهم إلى بيت المقدس، فمن المعروف سابقاً أن الأحباش كانوا يمثلون طائفة أو جالية كبيرة مقيمة هناك وقد اعتاد ملوك الحبشة على إرسال الهدايا والهبات لدير الحبش، فضلا عن الرسائل إلى السلاطين المماليك تطلب الاهتمام بالرهبان الأحباش فقد أرسل ملك الحبشة إلى المنصور قلاوون يسمح له بإرسال الهدايا إلى رهبان الحبشة في القدس وكانت عبارة عن أثواب ومائة شمعة ولا يمنع رسله من تحقيق ذلك وألا يمنع الأحباش من دخول أديرتهم ومساكنهم. [١١٠١]، ولذلك كانت لهم مميزات خاصة أفضل من بقية الطوائف الأخرى بالإضافة إلي أنهم كانوا معافين من دفع الجزية ومن كل الضرائب الأخرى، وكان يسمح لهم بالتنقل بحرية تامة في البلاد دون قيود أو شروط مثلما أشار الأب سوريانوSouriano والذي عاش فترة طويلة في بيت المقدس إلى أنه عندما يصل سفير ملك الحبشة إلى القدس فإن نائب القدس يسمح لهم بأخذ مفاتيح كنيسة القيامة وجعلها مفتوحة طوال الليل ويستطيع أي منهم دخول الكنيسة دون دفع الرسوم ويرجع سبب ذلك إلى خوف السلاطين المماليك من ملك الحبشة لأنه يتحكم في مياه النيل وبالتالي يستطيع حرمان مصر من المياه على الرغم من عدم قدرته على فعل ذلك. [١١٠٢]

إن وجود طائفة أحباش في بيت المقدس جعل الصلات مستمرة بين الأحباش وبين دولتهم وخاصة في فترة الحروب الصليبية، وقد استغلت البابوية ذلك الأمر وذلك بالتعاون بين الحبشة وأوربا من أجل محاربة المسلمين

([١١٠٠]) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص ١٧٠ -١٧٣

([١١٠١]) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص ١٧٠.

([1102]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 99 , Souriano , Treaties on the holy Land, pp. 89 -90 , Nicolo, A voyage Beyond the seas , p. 126.

وبخاصة في نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي أثناء العهد الأخير من الحروب الصليبية، فحدثت اتصالات متكررة بين الغرب الأوربي من ناحية وبين ملوك الحبشة من ناحية أخرى، وقد نجحت في تحريض ملك الحبشة ضد المسلمين، ففي الوقت الذي قام فيه ملك قبرص بطرس لوزنجيان بغزو الإسكندرية عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م كان ملك الحبشة يعد حملة عسكرية قوية لمهاجمة مصر من ناحية الجنوب وزحف على رأسهم شمالاً لمواجهة دولة سلاطين المماليك ولكنه لم يكد يقترب حتى علم بانسحاب بطرس لوزنجيان فعاد مرة أخرى إلى بلاده بعد أن خسر عدداً كبيراً من جنوده، ثم استمرت الفكرة تراود الفريقين (البابوية والحبشة) حتى في عهد ملك الحبشة إسحق الأول (٨١٧-٨٣٣هـ)(١٤١٤ – ١٤٢٩ م) والذي فكر في القيام بحملة صليبية كبرى ضد المماليك ولعل تلك الاتصالات جعلت السلاطين المماليك يراقبون البحر الأحمر ويحرمون على الأجانب الوصول إلى هناك خوفاً من الاتصال بالأحباش[١١٠٣]، ونتيجة لذلك كان الأحباش يتعرضون للمراقبة والتفتيش، ورغم ذلك فإنهم قد تمتعوا بحياة مريحة وآمنة وحصلوا على مميزات أكثر من الطوائف الأخرى، وقد أكد ذلك الراهب نيكولو بوجيبونسي Nicolo piggoponsi حيث ذكر أن الأحباش في بيت المقدس على علاقة ودية وسلمية بالسلطان المملوكي ولكنه لم يسمح لهم بالاتصال باللاتين خشية الاتفاق بينهم ضده[١١٠٤].

وقد وصفت كثير من المصادر الأجنبية المعاصرة هؤلاء الأحباش، وخاصة الرحالة الرهبان الذين عاشوا في بيت المقدس، وشاهدوا معظم الطوائف المسيحية، واندمجوا معهم ودرسوا أحوالهم وحياتهم، فذكروا أن الأحباش سود البشرة قبيحوا المنظر سواء الرجال أو النساء و كانوا يرتدون ملابس رديئة وبالية وهم ميالون لإشباع الشهوات أكثر من العبادة والتدين وهم أناس غلاظ ولا يعملون بصناعة شئ مفيد بل يعيشون في بلادهم على السرقة وهم يحبون الفرنجة والرهبان الفرنسيسكان، كما كان لديهم لغة خاصة بهم يستخدمونها في الكتابة، وكان رجال الدين

(١١٠٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ١٢٠٩ -١٢٠١٣.

(1104) Nicolo , A voyage Beyond the seas , p. 126.

منهم يحيون حياة قاسية صعبة فهم يظلون طوال الليل داخل كنيسة القيامة يرددون الترانيم الدينية الخاصة بهم يصفقون ويقفزون في الهواء أثناء اندماجهم في التراتيل، وفي يوم الاحتفال المهيب في السنة وهو يوم عيد الميلاد يقرءون الأناجيل الأربعة[١١٠٥].

كما أنهم كانوا يغطون رؤوسهم سواء الرجال أو النساء بقماش لونه أزرق كما ارتدوا ملابس ملونة، وهم متواضعون جداً وطيبون للغاية، ويمشون حفاة الأقدام، ويجرحون وجوههم منذ الصغر عند الطفولة المبكرة بحيث يظهر الصليب على جباههم وأحياناً على أنوفهم أو على صدورهم معتقدين أن ذلك نوع من المعمودية وطريقة لغفران الذنوب والخطايا والآثام، وفي عيد الفصح يلتقي الرجال والنساء معاً ويؤدون الرقصات وينشدون الأغاني بطريقة خرافية وبصوت عالٍ وصخب شديد، حيث يقضون الليالي على تلك الحالة ويبدءون الرقص بضرب الأكف وكثير منهم يرقصون في دائرة ويقومون بالرقص بعنف لدرجة أن يسقط أحدهم مغشياً عليه بسبب كثرة الرقص والحركات العنيفة، كما أنهم تحدثوا بلغتهم الخاصة وعرفوا أيضا اللغة العربية[١١٠٦].

أشارت بعض المصادر أيضاً إلى أن الأحباش في صيام عيد الفصح كانوا يفعلون مثل الأرمن حيث يأكلون الفاكهة والنباتات فقط ويبتعدون عن اللحوم نهائياً، أما رجال الدين فكانوا لا يأكلون أثناء فترة الصيام إلا الخبز والماء، أما باقي أفراد الطائفة فكانوا يفعلون ذلك في أيام الأربعاء والجمعة فقط على مدار السنة وسمح لرجال الدين الأحباش بالزواج، وفي نفس الوقت فإنهم كانوا هراطقة لأنهم لم يعترفوا بأخطائهم أمام أحد إلا الرب[١١٠٧] على اختلاف الطوائف الأخرى التي تقوم بالاعتراف بالخطايا والآثام أمام الأسقف أو رئيس الكنيسة ليغفر لهم الخطايا والذنوب.

كانوا يتبعون اليهود واليعاقبة في تطبيق عقائد ليست من الديانة المسيحية

([1105]) Souriano , Treaties on the holy Land, p. 90.

([1106]) Baumgarten , The Travel of Martin Baumgarten , p. 466.

([1107]) Ray john, Collection of Curious travels & Voyages, p. 355.

وقاموا بأداء طقوس غريبة منها عملية الختان للأطفال حيث استخدموا عموداً حديدياً ساخناً كان يوضع على وجه الطفل أو رأسه علامة للختان واعتبر ذلك مخالفاً عن بقية الطوائف التي كانت تستخدم الزيت أو الماء عند الختان[١١٠٨].

وهم أيضاً امتلكوا كنيسة صغيرة في كنيسة الضريح المقدس، و كان لديهم مذبح ومصباح مشتعل يقيمون عنده القداس وطقوسهم الغريبة يوميا ً، وتلك الأماكن موجودة جهة اليسار عند دخول الضريح المقدس بين أعمدة الكنيسة[١١٠٩].

- **الطائفة الثامنة: طائفة السريان (مسيحي الحزام): -**

السريان شعب عريق يرجع عهدهم إلى القرن السادس عشر ق. م وعرفوا بالآراميين حتى القرن الخامس عشر ق.م تقريباً ثم بالسريان، ويعني بالآراميين أنهم مجموعة القبائل التي كانت تتكلم اللغة الشامية الشمالية والتي سكنت آرام في شمال بلاد الشام، ثم توسعت حتى استولت في القرنين التاسع والثامن ق. م على بلاد النهريين فانتشرت لغتهم في بلاد فارس والهند وعمت بلاد الشام والجزيرة وعندما شن ملك آشور الحرب على العراق انتهت مملكة الآراميين عام٧٢٠ ق.م، أما لفظ السريان فقد جاء متأخرا في عهد الإمبراطورية اليونانية وهم أول الشعوب التي اعتنقت المسيحية حتى أن كلمة سرياني أو سورايا أو سوريان باللهجة السريانية العامة تعني مسيحياً [١١١٠]، وقد ظلت الكنيسة السريانية قوية حتى القرن الخامس الميلادي ثم ضعفت بسبب اصطدامها بالكنيسة الأرثوذكسية التي حرمت في مجمع خلقدونية عام ٤٥١م السريان المؤيدة للطبيعة الإلهية الواحدة للمسيح، وأطلق عليهم اليعاقبة أيضًا نسبة إلي زعيمهم يعقوب البرادي الذي توفي عام ٥٧٨م [١١١١].

بدأ ظهور طائفة السريان منذ القرن الأول الميلادي وقد تلقبوا باسم

([1108]) Nicolo , A voyage Beyond the seas, p. 126 , Fabri , the wandering, vol 2part2 , p. 388.

([1109]) Fabri, The Wandering , vol 1 part 2 , p. 435 , Harf , The Pilgrimage of Arnold Von Harff , p. 204 , Souriano,Treaties on the holy Land, p. 90.

([١١١٠]) ماهر يونان، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ص ١١٧ -١١٨.

([١١١١]) عارف العارف، المسيحية في القدس، ص ١١٤ وما بعدها.

مسيحي الحزام، لأنهم قد تلقوا حزام السيدة مريم العذراء عندما صعدت للسماء – كما يدعون ذلك - والتي قدمته للقديس توما الرسول، ولإحياء تلك الذكرى فإنهم كانوا يدخلون كنيسة الضريح المقدس وهم يرتدون حزاماً يشبه ما كانت ترتديه السيدة مريم العذراء[١١١٢]، ومن عقائدهم عند تعميد الأطفال أنه يتم تعميدهم يوم عيد الميلاد فقط ولا بد أن يصل سن الطفل إلى سنة أو سنتين ولا يقومون بتعميدهم بعد الولادة مباشرة كما يفعل اللاتين. [١١١٣]،كما استخدموا النار في التعميد حيث يقومون بحرق الطفل من الرأس أو الصدغ وفقاً للتقاليد والعادات التي يتبعونها في البلد التي يعيشون فيها[١١١٤]، كما يطبقون شعائر طائفة الروم الأرثوذكس (اليونانيين) وذلك باستخدام الخبز المختمر في الاحتفال بالقداس. [١١١٥] واستخدموا اللغة العربية في الكتابة، وأحيانا كانوا يستخدمون اللغة اليونانية أو السريانية في تأدية القداس والاحتفالات الدينية[١١١٦].

بالإضافة إلى أن السريان كانوا قليلي العدد في بيت المقدس ولكنهم كثيرون في أماكن أخرى ومنتشرون في كل مكان، وهم على علاقة سيئة مع اللاتين وارتدوا ملابس بالية جداً وهم نحفاء الجسم ولا يقدمون الصدقات ويعيشون بين المسلمين ومعظمهم يعملون كخدم عند المسلمين ولذلك يرتدون ملابس تشبه ملابس المسلمين ويتميزون عنهم بوضع الحزام المصنوع من الصوف على خصرهم[١١١٧]، وهم أيضًا عاشوا في كنيسة الضريح المقدس، وفي كنيسة القديسة مريم بجانب كنيسة ودير

([1112]) Frescobaldi, A Visit to the Holy Places , p. 47 , Casola , Pilgrimage to Jerusalem, p. 239.

([1113]) Baumgarten , The Travel of Martin Baumgarten , p. 469.

([1114]) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places , p. 47 , 114.

([1115]) Ibid, p. 114 , Wright , Early travelers , p. 189.

([1116]) Frescobaldi, op.cit , p,114,Wright ,op.cit ,p.189, Souriano, Treaties on the holy Land,p.89.

([١١١٧]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٧٣.

القديس جيمس الكبير، وقرب مكان ظهور السيد المسيح للمريمات الثلاثة وكذلك يمتلكون مكان صغير في كنيسة القديسة هيلانة بجوار الأحباش واليعاقبة[١١١٨].

- **الطائفة التاسعة: طائفة الأقباط:**

جاءت أول جماعة منهم إلي بيت المقدس في منتصف القرن الرابع الميلادي بمناسبة تدشين كنيسة القيامة ولكن كانوا قليلي العدد عن بقية الطوائف المسيحية الأخرى بدليل ما ذكره الأب سوريانوSouriano عندما كان رئيس دير صهيون في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي قائلاً بأنهم قد تركوا بيت المقدس ورحلوا إلى بلاد أخرى ومنها مصر وقد خلى مكانهم في كنيسة القيامة بسبب ذلك[١١١٩].

هؤلاء الأقباط أتقياء صالحون لكن توجد في عقيدتهم أخطاء معينة مثلما يوجد في كل الطوائف المسيحية وقد مثلوا الكنيسة الرومانية، وأثناء صلاتهم وتعبدهم كانوا يقومون بالغناء والإنشاد بلغتهم وبأسلوب مختلف عن اللاتين و اليونانيين يشبه أسلوب مسيحيي الحبشة [١١٢٠]، حيث كانوا يصدرون صيحات عالية وتنهدات ويذرفون الدموع الكثيرة دليلاً على التوبة الحقيقية ويضعون أولادهم الصغار فوق أعناقهم، وكانوا قد وقعوا في خطأ آخر حيث إنهم اعتقدوا أن بيلاطس الحاكم الروماني الذي حكم على المسيح بالصلب ليس مذنباً بل هو مسيحي مخلص وندم على ما فعله وما قام به إلا بسبب إرادة الرب الأعلى الذي أراد أن يحكم على المسيح بالموت ليخلص البشرية من الآثام والشرور، كما إنهم صاموا قبل أي عيد أربعة أو خمسة أيام بدون طعام وبذلك فهم يرهقون أنفسهم بشدة ويهلكون أجسادهم بصيام شديد يصل إلى حد الهلاك، وفي أيام الجمع أو يوم العيد يقضون الليل والنهار يحتفلون ويرقصون[١١٢١]،

([1118]) Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff, p. 204,Souriano, Treaties on the holy Land , p. 89,Fabri , the wandering, vol 1 part 2,p.436.

([1119]) Souriano , op.cit, p. 92.

([1120]) Langnon , Le Saint Voyage , p. 70.

([1121]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 100.

أما مكان صلاتهم فهو جبل الصلب خارج الكنيسة في المكان الذي وقفت فيه السيدة العذراء لتشاهد ابنها يسوع معلقاً على الصليب، ويقع مقرهم قرب كنيسة الضريح المقدس[١١٢٢].

- **الطائفة العاشرة: طائفة النساطرة:**

ينتمي النساطرة إلى القديس نسطوريوس الهرطقي أسقف كنيسة القسطنطينية، وهم مخطئون في أمور عديدة وخاصة في العقيدة المسيحية حيث قالوا إن السيدة مريم العذراء ليست أم السيد المسيح الروح الإلهي، بل هي أم السيد المسيح البشر فقط، ولم يؤمنوا بالطبيعة المزدوجة للسيد المسيح، بل يرون أنه ذو طبيعة واحدة فقط وهي الطبيعة البشرية، ووفقاً لمبادئهم فإن ابن الرب لا بد أن يكون شيئاً واحداً فقط وأن ابن البشر شئ آخر، وقد تمت إدانتهم والحكم عليهم من قبل الكنيسة الأم في روما بالفساد والهرطقة من قبل، وهم أيضاً استخدموا اللغة الكلدانية في صلواتهم واستخدموا الخبز المختمر في القداس وعاشوا في بيت المقدس بلا مأوى وبلا دير، وكان لديهم مذبح واحد قرب باب كنيسة الفرنسيسكان في دير صهيون[١١٢٣].

- **الطوائف اليهودية في مصر والشام:**

أنقسم اليهود منذ بداية تاريخهم إلى فرق دينية مختلفة في الهيئة والشكل والتنظيم والقواعد المتبعة، ورأت كل فرقة أنها الأمثل والأفضل طريقة والأشد تمسكاً بقواعد وأصول الديانة عن الفرق الأخرى، وقد انقسموا إلي ثلاث فرق أساسية هي: الربانيون والقراءون والسامرة.

- **الطائفة الأولي: طائفة الربانيين:**

الربانيون هم أكبر طائفة يهودية من حيث العدد والأهمية حيث جرت العادة أن يتولى رئاسة الطوائف الثلاث أحد أفراد طائفة الربانيين فقط وليس من أي طائفة

([1122]) Ibid , p. 101.

([1123]) abri , The Wandering , vol 2 part 2, p. 388. Souriano ,Treaties on the holy Land , p. 91.

أخرى. [١١٢٤]، وقد سميت تلك الطائفة بذلك الاسم إشارة إلى اتباعهم تفاسير علماء اليهود وفقهائهم في المشنا فقيل إنهم بنو مشنو، ومعناه الثاني ويقصد به الكتاب العبري الفقهي الذي يفسر التوراة وقد كتب في طبرية بعد التخريب الثاني للقدس وتشريد اليهود، وهم يرجعون إلى أحكام الشريعة المدونة لديهم في التلمود ولكنهم أبعد عن أصول الشريعة ولا ينطبق عليهم اسم اليهود وخاصة بعد اتباع موسى بن ميمون القرطبي عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م فصاروا أبعد الناس عما جاء به أنبياء الله تعالى من الشرائع الإلهية [١١٢٥]، وقد اختلف أعداد يهود تلك الفرق من مكان لآخر فذكر ميشولم بن مناحم عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١ م أن عدد اليهود الربانيين في الإسكندرية كان حوالي ٦٠ عائلة وليس منهم السامرة أو القرائيين مما يوحي أنه لم يكن في الإسكندرية سوى الربانيين فقط. [١١٢٦]، وفي القاهرة وجد ٨٠٠ عائلة يهودية ولكن أكثرهم من القرائين، و٥٠ فقط من السامرة، والباقي من الربانيين. أما عوبديا الذي زار مصر والشام عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م فقد ذكر أنه في القاهرة حوالي ٧٠٠ عائلة يهودية يتألفون من ٥٠ عائلة من السامرة و ١٥٠ عائلة من القرائين والباقي من الربانيين.، وفي مدينة الخليل كان يوجد بها ٢٠ عائلة يهودية كلهم من الربانيين فقط وليس بينهم طوائف أخرى. [١١٢٧]

يعد الربانيون أفضل الطوائف اليهودية، لأنهم حافظوا على قواعدهم نظريا وعمليا مثلما فعل يهود أوربا [١١٢٨]، كما انفرد الربانيون عن القرائيين بشرح موضوعي لفرائض التوراة واتفقوا معهم في اتخاذ صخرة بيت المقدس القبلة في صلاتهم ويوجهون لها موتاهم واتفقوا كذلك على أن الله كلم موسى على جبل طور سيناء، ولكن اختلفوا معهم في أمرين: أحدهما: بالظاهر والجنوح إلى التأويل بمعنى أن القرائين اهتموا فقط بالتوارة من الناحية الظاهرية أما الربانيون فهم اهتموا بالتفسير

([١١٢٤]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص ٣٥٨.

([١١٢٥]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٣٦٩.

([1126]) Adler , Jewish Travelers , p. 161.

([1127]) Ibid , pp. 171,225,234.

([1128]) Adler , Jewish Travelers, p. 171.

والتأويل العميق والشرح المستفيض لقواعد الديانة والتفسير بدقة لآيات التوراة، وثانيهماً: القول بالقدر فالربانيون قالوا أنه لا يوجد قدر محدد، أما القراءون فيؤمنون بوجود القدر مسبقاً [١١٢٩].

- **الطائفة الثانية: طائفة القرائين:**

اشتق اسم القرائين من المصدر العبري قرا بمعنى قرأ ولذلك أطلق عليهم بنو مقرا أو بمعنى دعا، لذلك أطلق عليهم أصحاب الدعوة الأولى، وهم لم يؤمنوا إلا بما يقرأ في التوراة والتي لم يعترفوا بغيرها من كتب اليهود ولذلك فإنهم احتكموا إلى نصوص التوراة فقط ولم ينظروا إلى من خالفها وفسروا النصوص كما يحلو لهم دون تقليد الطوائف الأخرى، كما إنهم كانوا على عداوة شديدة مع الربانيين بحيث أنهم لم يسمحوا بالتزاوج منهم ولا الإقامة معهم في مكان واحد ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض[١١٣٠].

يرجع بعض الباحثين أصل تلك الفرقة إلى عنان بن داود (ت ٧٩٠، ٨٠٠ م) الذي دعا لمذهب جديد ينشق به على اليهود بسبب الخلاف الذي نشب بينه وبين أخيه الأصغر حول تولي منصب رأس علماء الجالوت بعد موت حاخام العراق الأكبر، وفي ذلك الوقت تأثر علماء اليهود بأراء المعتزلة وأصحاب علم الكلام من المسلمين وصاروا ينقدون تعاليم الربانيين ويتهيئون للخروج على أحكام التلمود، وتزعم تلك الحركة ثلاثة من علماء اليهود ونصبوا عنان على رأس حركتهم فاشتكى الربانيون للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي أمر بحبس عنان ثم أطلق سراحه ورحل إلى فلسطين وشيد كنيسة هناك وألف كتابين يتضمنان قواعد مذهبه[١١٣١]، وتولى زعامة القرائين بعد وفاة عنان ولده شاءول فحفيده يوشيه، لكن الفرقة لم تستطع أن تحتفظ بوحدتها فانشقت على نفسها وكان الربانيون لا يتركون فرصة إلا

([١١٢٩]) القلقشندي، صبح الأعشى، ص ١٣، ص ٢٥٧ -٢٥٨.

([١١٣٠]) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٦٩.

([١١٣١]) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص ٣٧٨ -٣٨٠ ؛ انظر أيضا، قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ١٠٥.

واستغلوها لمهاجمة بدع القرائين فاتهموهم بالزندقة والخروج عن الدين واعتبروهم غرباء عن اليهودية وحرموا الاتصال بهم والتزوج بهم، غير أن تلك المعارك ساعدت على انتشار القرائين واشتداد ساعدهم وامتدت فروعهم من فلسطين إلى سوريا والعراق وبلاد الشرق وفي القرن الرابع عشر الميلادي انتشروا في أوربا.[١١٣٢] وقد ذكر المقريزى العانانية فرقة يهودية أخرى غير القرائين الذين تعود نشأتهم إلى فترة سابقة من التاريخ اليهودي[١١٣٣].

ذكرالرحالة اليهودي عوبديا جارية أن القرائين وضعوا تفسيرات جديدة للتوراة وقالوا إن القانون الذي وضعه القدماء يمكن تغييره إذا بدا أنه لا يتماشي مع نصوص الكتاب المقدس، كما أنهم كانوا يقرءون كل شيء وفقاً للتوراة ويرون أنهم على حق وصواب لأنهم يدرسون ويتعلمون ويؤدون صلواتهم التي تحتوي على ترنيمات مقدسة ونصوص من الكتاب المقدس، ومن قواعدهم الجديدة أنهم وضعوا قواعد القراءة في التوراة بحيث أنه يجب على اليهودي أن يقرأ التوراة كاملة يومي الاثنين والثلاثاء، وتلك القاعدة لم تكن موجودة من قبل، ويعتقدون أن كل قرائي هو يهودي غني وشريف لأنه ينحدر من عائلة داوود وكل الأجيال تشهد بذلك. [١١٣٤]، كما كان لديهم أياماً مختلفة لعيد رأس السنة وعيد الغفران، ولقد حددوا بداية الشهر مع بداية ظهور الهلال باجتماع الشمس والقمر [١١٣٥]، واليهود القراءون حرموا ذبح الخراف وأكل لحومها لأنه طبقاً لشريعتهم فإن الخراف تعتبر صنف من الأصناف الحيوانية التي تحرمها التوراة، وهم يفضلون أيضاً الذبح باستخدام سكين حادة خالي من السنون.، أما القراءون في القدس فكانوا لا يعتقدوا أن هناك خطأ ما في الاحتفال بعيد رأس السنة أو عيد الغفران، وكانوا يرسلون رجال الدين إلى القدس ليستطلعوا بداية الشهر، ومن قواعدهم إضافة شهر إلى السنة لتصبح سنة كبيسة، ولكن قرائيى

([١١٣٢]) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص ٣٨٠ -٣٨١.

([١١٣٣]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٣٦٩.

([1134]) Adler ,Jewish Travelers pp. 227.

([1135]) Ibid , p. 226.

القسطنطينية لا يرون ذلك حيث أن كل جماعة تحدد تقويمها وفقاً للمكان الذي تعيش فيه وهم يصومون اليوم السابع من شهر آب (أغسطس)، ويحتفلون كذلك بعيد الشابوش (عيد الحصاد) يوم الأحد وفيه يجلسون تحت ظلال النخيل الأخضر وأغصان الأشجار والنباتات الأخرى في وسط المعبد وفي عيد السبت لا يشعلون النيران في منازلهم ليلاً ولا نهاراً [١١٣٦].

وقد اعتبر مؤرخو عصر سلاطين المماليك أن الربانين والقرائين بمثابة فرقة واحد ة، وذلك رغم اختلاف الطرفين في القواعد والنظم والكنائس إلا أنهما قد اتفقتا على استخراج ستمائة وثلاث عشرة فريضة من التوراة، كما اتفقا على نبوءة موسى وهارون ويوشع، وعلى نبوءة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنيه الاثنى عشر (الأسباط) وتميزوا عن السامرة بأنهم اعترفوا بنبوءة أنبياء آخرون غير موسى ويوشع ونقلوا عن يوشع تسعة عشر كتاباً [١١٣٧].

- **الطائفة الثالثة: طائفة السامرة: -**

كانت السامرة طائفة قليلة أيام سلاطين المماليك، ويتضح ذلك من خلال كتابات المؤرخين المعاصرين والرحالة الأوربيين الذين لم يهتموا كثيراً بذكر طائفة السامرة، وقد نشأت تلك الطائفة في فلسطين ولم يكونوا يهوداً في الأصل وليسوا من بني إسرائيل، وإنما هم قوم قدموا من بلاد الشرق وسكنوا بلاد الشام وتهودوا ويقال أنهم شعب من شعوب الفرس خرجوا إلى الشام ومعهم الخيل والغنم والإبل والقسى والنشاب والسيوف والمواشي وتفرقوا في البلاد وسكنوا في مدينة شمرون (نابلس)، وظلوا فيها وزعموا أنها هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب عليه السلام[١١٣٨]، وبعد انتشار المسيحية تعرض اليهود السامرة لموجات الاضطهاد والتعذيب فتقربوا من اليهود أنفسهم واعتبروا فرقة يهودية معترف بها وأضافوا إلى التلمود فصلاً يوضح طبيعة تلك الفرقة وتنظيمها، وفي القرن السابع الميلادي انحسر النفوذ الروماني من

([1136]) Adler , op.cit , pp. 228 ,226.

([١١٣٧]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٢٥٧.

([١١٣٨]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٣٦٩ – ٣٧١ ؛ محمد علي كرد، خطط الشام، ج٦، ص ٢١٤.

الشام بفضل الفتح الإسلامي فاستفاد اليهود من التسامح الديني، ولذلك وجدت منهم جماعات صغيرة في مصر والشام[١١٣٩].

وصف السامريون أنفسهم بالمحافظين لأنهم كانوا ولا يزالون يحافظون على أدق شعائر العبادات والشريعة دون تأويل أو تحريف وزعموا أن التوراة التي في أيديهم أصدق وأقدم توراة، والتوراة التي بين أيديهم مسطرة في درج طويل من الرق له اسطوانة مفضضة محفوظة في معبدهم في نابلس الذي أصبح سلوتهم الوحيدة في ذلك العالم الذي أصبحوا فيه غرباء عن كل الأمم.[١١٤٠]، كما روي الرحالة السير جون منديفيل الذي زار مصر والشام عام٧٢٢هـ/ ١٣٢٢ م أن السامرة مؤمنون، وقد تعمدوا على يد الحواريين واعتنقوا قواعد ونظماً خاصة بهم مختلفة عن المسيحيين واليهود والمسلمين والوثنيين، وهم أيضًا آمنوا بوجود إله واحد خلق الكون وتمسكوا بالكتاب المقدس واستخدموا psatler مثلما فعل اليهود وزعموا أنهم أبناء الرب الأحباء [١١٤١].

أختلف السامرة عن الطوائف الأخرى في يوم عيد الفصح وفي بعض الأمور ومنها الحج حيث كانوا يصعدون ثلاث مرات في السنة على جبل جرزيم في نابلس حاملين معهم حمامة ذهبية ليقدموها قرباناً على المذبح في أعلى الجبل حيث اعتقدوا أن جبل جرزيم هو الجبل المقدس لديهم ولذا لا يجب أن يحجوا إلى القدس، كما اعتادوا علي تقديم الشاة في عيد الفصح محتفظين بعظامها سليمة، وقد عاشوا في حي خاص بهم، و كان لهم معبد خاص بهم أيضاً ولهم عيد وأجازة في يوم السبت، ولكنهم انتهكوا حرمته في وقت الظهر حيث كانوا يصومون من منتصف يوم الجمعة حتى منتصف يوم السبت ولديهم خمسة كتب مقدسة لموسى وكتاباتهم مختلفة عن الربانيين وزعموا أن تلك الكتابات هي الأصلية الصادقة التي كانت قبل الأسر البابلي[١١٤٢].

([١١٣٩]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٢٦٨ -٢٦٩ ؛ بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص ٣٧٣ -٣٧٤.

([١١٤٠]) أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص ٦١.

([1141]) Wright , Early Travelers , p. 183.

([1142]) Adler , Jewish Travelers, pp. 171 , 225 – 226.

- **المزارات والمقدسات في الشام ومصر:**

تميزت معظم نصوص الحجاج والرحالة الأجانب والعرب في فترة العصور الوسطي بزيارة الأماكن المقدسة والمزارات المسيحية واليهودية والإسلامية، كما اهتم الكثيرون منهم بشرح ووصف المكان المقدس مطابقاً لما جاء في الكتب المقدسة سواء التوراة أو الإنجيل مع الاعتماد على ذكر آيات تتناول ذلك الموقع المبارك، ومنهم من قدم وصفاً تفصيلياً للمزارات المقدسة بصورة مذهلة وذلك بتحديد المسافات والخطوات أو برسم خريطة وتوزيع الأماكن المقدسة عليها، ولكنهم أحياناً كانوا لا يذكرون أسماء المزارات والكنائس بصورة دقيقة وواضحة فكلاً منهم ذكرها حسب اعتقاده ووفقاً لما جاء في الكتب المقدسة والرحلات السابقة، وكان بعضها مختلفا عما جاء في المصادر الإسلامية المعاصرة، ولذلك حاولت الباحثة جاهدة عقد نوع من التوازن والترابط بين ما جاء في الرحلات الأجنبية والعربية ومع المصادر الإسلامية المعاصرة.

- **مزارات ومقدسات المسلمين في الشام:**

أهم المقدسات والمزارات الإسلامية التي شاهدها وتحدث عنها الرحالة الأوربيون في بلاد الشام هى **المسجد الأقصى ومسجد الصخرة في بيت المقدس** وهما يقعان على جبل موريا [١١٤٣] وكان يطلق على المسجد الأقصى معبد سليمان، أو هيكل سليمان Templum Solmois، وقد تعرض ذلك المعبد إلى الخراب والتدمير عدة مرات، عندما قام تيتوس الإمبراطور الروماني (٦٩-٧٩م) بالاستيلاء على القدس وحرق المعبد ودمر المدينة وأسر اليهود وقتل بعضهم وسجن البعض وباع الآخرون، ثم أعطى الإمبراطور جوليان المرتد (٣٥٥-٣٦٣م) الإذن لليهود ببناء المعبد مرة أخرى ثم دمرته الزلازل، ثم جاء الإمبراطور هادريان (١١٧-

---

([١١٤٣]) عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة العامة، ١٩٧٤ م، ص ١٣.

- جبل موريا: بمعنى الجبل المختار وهو احد الجبال الأربعة التى بنيت عليها بيت المقدس ويوجد عليه المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة ويعتقد اليهود أن إبراهيم حاول ذبح ابنه إسماعيل على هذا الجبل، انظر، بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٢٩، حاشية (١)، عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، ص ١٣، ٦٢.

١١٣٨م) فأعادوا بناء المدينة والمعبد ولم يسمح لليهود بالسكن هناك باستثناء المسيحيون[١١٤٤].

بنى المسجد الأقصى بشكل مستدير على النمط الإغريقي فهو مرتفع جداً وواسع ومسقوف بالرصاص ومبني بحجارة مصقولة ومنحوتة ووضع المسلمون على القبة هلالاً، وبالمسجد أربعة ساحات كبيرة ولكنها ليست مسقوفة بل مبلطة بالرخام الأبيض.[١١٤٥]، وكان لا يسمح للمسيحيين أو اليهود بدخوله وإلا تعرضوا للقتل أو دفع جزية تقدر أحياناً بمبلغ عشرة آلاف دوكة ذهبية.[١١٤٦]،ولكن بعض الرحالة الأجانب استطاعوا دخوله كما فعل الرحالة الألماني فون هارف الذي كان يحمل خطاباً من السلطان المملوكي وعليه ختم السلطنة وفيه يأمر أتباعه ومواليه باحترام حامل الرسالة ومساعدته لرؤية ومشاهدة كل الأماكن والمزارات وتقديم الخدمات اللازمة[١١٤٧].

كان اتساع المسجد حوالي ٦٤ ذراعاً ومثله في الطول وفي داخله أعمدة رخامية وفي الوسط درجات ارتفاعها ١٤ خطوة بأعمدة ذهبية (منبر المسجد) ويسمه اليهود قدس الأقداس[١١٤٨]، أما الرحالة المسلم ابن بطوطة قد وصف لنا المسجد الأقصى بقوله وهو من المساجد العجيبة الرائعة الفائقة الحسن..... وليس على وجه الأرض مسجدا أكبر منه وأن طوله من الشرق الى الغرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعاً بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً..... وهو مسقف في النهاية من إحكام العمل واتقان الصنعة، مموه بالذهب والأصبغة الرائقة[١١٤٩].

([1144]) Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff , p. 170.

([1145]) Luodolph , Description of the Holy land , p. 98, Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 107, See Also , Prescott , Jerusalem Journey , p. 177.

([1146]) Luodolph,Description of the Holy land ,p. 98, Schefer Le Voyage de Jean Thenaud,p.107.

([1147]) Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff , p. 169.

([1148]) Ibid , p. 170.

([١١٤٩]) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٥٧-٥٨.

Open Kandil.com

كان بالمسجد الأقصى اثنتا عشرة بوابة منها خمس مغلقة واثنتان مفتوحتان، هما بوابة الرحمة حيث كانت تدخلها الأفراح، والأخرى بوابة الجنائز حيث كانت تدخلها الجنائز لدفن الموتى وهما مصنوعتان من الحديد والبوابات الأخرى مغمورة تحت الأرض، وهناك ثلاث بوابات قد بناها المسلمون في الحائط[١١٥٠]، وقد ذكر الحنبلي تلك البوابات كالآتي بابان في السور الشرقي داخل الحائط مما يلي المسجد وخلفهما وادي جهنم وهما باب الرحمة والتوبة ثم باب الجنائز أو البراق بالسور الشرقي وهو مسدود بالبناء، باب الأسباط نسبة إلى أسباط بنى إسرائيل في آخر جهة الشمال، باب حطة من جهة الشمال، باب الدويدارية وكان يسمى باب شرف الأنبياء جهة الشمال من المسجد [١١٥١]، وقد اهتم المماليك كثيرا بالعناية بالمنشآت الدينية واستغلوا ثروات ضخمة في العناية بالمسجد الأقصى وأشارت كثير من المصادر الى تلك الرعاية والاهتمام التي تجلت في دهشة وإعجاب بعض الرحالة الأوربيين الذين زاروا المدينة[١١٥٢].

أما مسجد الصخرة، كان يطلق عليه معبد السيد Templum Domini يقع المسجد في الجزء الشرقي من مدينة بيت المقدس في ساحة مربعة تجاه وادي يوشفات، وفي عام ١٥ هـ / ٦٣٥ م عندما دخل الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بيت المقدس ارسل العمال لبناء المسجد في ذلك الموقع حيث صلى أمام كنيسة القيامة، ثم أضاف إليه الخلفاء الآخرون الكثير من المباني وزادوا في روعته وجماله، ووصفه كثيرون فهو مثمن الشكل وحوائطه مغطاة بالرخام وبأنواع عديدة من الرخام الثمين وقبته مطلية بالنحاس[١١٥٣]، وعندما استولى الصليبيون بيت المقدس حولوا المسجد إلى كنيسة وبنوا فوق الصخرة مذبحاً وكانوا يسمونها معبد السيد

([1150]) Adler ,Jewish Travelers , p. 191.

([١١٥١]) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص ٢٧ -٣٠.

([1152]) A Visit to the Holy Places,p.128. Casola , Pilgrimage to Jerusalem, p.249, Frescobaldi,

([1153]) Casola, Pilgrimage to Jerusalem, p. 251.

وأنشأوا الحاجز المصنوع من الحديد المشبك الذي كان يفصل الصخرة عن المسجد، ثم أزال صلاح الدين معالم الكنيسة والمذبح والحاجز الحديدي وأعاد المسجد كما كان[١١٥٤]، وكان يطلق عليه أيضاً رواق سليمان أو هيكل سليمان ويقدسه المسلمون ويحترمون المكان ويسمونه الصخرة المقدسة بسبب وجود صخرة في وسطه محاطة بحاجز حديدي[١١٥٥]، وقيل إن خلف الصخرة قدس الأقداس ولا يسمح لأحد بدخوله سوى ناظر الحرم وتفتح أبوابه ليلاً ونهاراً وبه مائتا شخص لخدمة المسجد وحراسته. [١١٥٦]، والمسجد أيضاً على شكل مثمن وكان مزيناً بالفسيسفاء المذهبة وأرضيته وحوائطه مزينة بأنقى وأثمن أنواع الحجارة ويتدلى فيه أكثر من ٨٠٠ مصباح أما سطحه فمنبسط جداً ومغطى بالرصاص[١١٥٧].

أما الصخرة ذاتها (ظلت خارج المسجد حتى عهد الوليد بن عبد الملك الذي أمر ببناء قبة عليها)، وضعت في وسط المسجد على الصحن الكبير المرتفع عن أرض المسجد وعليها بناء غاية في الحسن والإتقان وهي قبة مرتفعة علوها ذراع وذلك الارتفاع من فوق الصحن وأما علو الصحن من الأرض من جهة القبلة عند قبة النحوية فهو سبعة أذرع فيكون ارتفاع القبة من أرض المسجد ٥٨ ذراعاً ومرتفعة على أعمدة رخامية حوالي ١٢ عموداً و٤ سوارٍ والصخرة يحوطها سور من الخشب ويحيط بالأعمدة والسواري سور حديدي وخارج القبة سقف مستدير مصنوع من الخشب المدهون بالذهب على ستة أعمدة رخامية و ٨ سوارٍ ثم توجد قبة على الصخرة وفوقها سقف آخر مدهوناً بالرصاص وبينهما فراغ[١١٥٨].

- **المزارات والمقدسات المسيحية في مصر:**

([١١٥٤]) النويري، نهاية الإرب، ج ٢٨، ص ٤٠٥ ؛ محمد كرد، خطط الشام، ج٦، ص ٢٥١.

([1155]) Luodolph , Description of the Holy land , pp. 98 -99.

([1156]) Souriano , Treaties on the holy Land , p. 109 , Adler , op.cit , p. 190.

([١١٥٧]) بيرو طافور، رحلة طافور، ص ٥١ ؛ Souriano , Ibid.

([١١٥٨]) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص ١٧ -١٨ ؛ مزيد من التفاصيل عن الحرم القدسي، انظر، الهروي، الإشارات، ص ٢٤ -٢٨ ؛ العبدري، الرحلة المغربية، ص ٢٢٨ -٢٣٢ ؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٥٧-٥٨ ؛ البلوى المغربي، تاج المفرق، ص ٢٤٧.

انتشرت الكنائس والأديرة المسيحية في كل أنحاء مصر وكانت غالبية الكنائس ملكاً لليعاقبة بحكم كونهم الأغلبية، كما امتلك النصارى الملكانية (أو الملكية) بعض الكنائس في القاهرة والفسطاط وكذلك وجدت كنائس للأرمن والنساطرة ومسيحي الحزام والجورجيين، وقد بلغ عدد الأديرة في مصر حوالي ستة وثمانون ديراً لليعاقبة و ثلاثة أديرة للملكانية[١١٥٩].

- **كنائس الإسكندرية:**

كانت كنيسة القديس مرقص تقع شرق الإسكندرية و الذي سمى بالقديس مرقص الإنجيلي وقد تعرض للتعذيب والإهانة الشديدة وتم جره في شارع القديس مرقص مربوط في ذيل الجياد إلى خارج بوابة المدينة، حيث تم قطع رأسه ونقل جسده إلى البندقية [١١٦٠]، وقد كان القديس مرقص الإنجيلي واحد ممن كتب الأناجيل الأربعة، ومؤسس كنيسة الإسكندرية، وكانت رأس القديس المحفوظة في الإسكندرية من المقدسات المسيحية الهامة، ولم يكن البطريرك يعين رسميًا إلا بعد أن يضع البطريرك الجديد ذلك الرأس في حجرته تبركاً بها، وعندما سرقها التجار البنادقة من الإسكندرية عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩م غضب الأقباط وطلبوا من السلطان المؤيد شيخ (٨١٥ هـ – ٨٢٤ م) (١٤١٢ – ١٤٢١ م) استعادة تلك الرأس [١١٦١]، ولكن لم تشر المصادر المعاصرة فيما بعد إلى استجابة السلطان لهم ولكنهم قد أعادوها في القرن العشرين. وكان يديرها المسيحيون اليعاقبة[١١٦٢]، وفي شارع القديس مرقص توجد كنيسة القديس يوحنا المعمدان وبها الصخرة التي أعدم عليها [١١٦٣]، وقرب

([١١٥٩]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٤٢٣.

([1160]) Ghistele, Voyage en Egypte, p. 119,Guid book to Palestine 1350 , trans by Bernard , P.P.T.S ,vol 6 ,London , 1894 , p. 33 , See Also, Wolff , How Many Miles to Babylon ?, p.76.

([١١٦١]) المقريزي، السلوك، ج٤ ق١، ص ٥٠٥ ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٤٥٧ ؛ ابن إياس، بائع الزهور، ج٢، ص ٤٩

([1162]) Harff ,The Pilgrimage of Arnold Von Harff , p. 95.

([1163]) Souriano, Treaties on the holy Land, p. 197 , Nicolo , A voyage

الإسكندرية قرية صغيرة بها كنيسة صغيرة وجميلة فيها قبو صغيرة ومن المعتقد أنه قد قطع فيها رأس القديس يوحنا، وقد كانت تستخدم سجناً وتولى الحرفيون والصناع المسلمون حراسة القبو وأشعلوا فيه المصابيح وتصدقوا على القبو والكنيسة بالأموال[١١٦٤].

أما كنيسة القديس سابي أو سابا Sabe فكانت عند البوابة المؤدية إلى رشيد، كانت كائنة على الناحية اليسرى من الشارع، وهي عبارة عن بناء غاية في الجمال، وكانت تشبه الأديرة اليونانية وفي وسطها وجد مبنى حجري له مدخل جانبي به سلم مكون من ثمان درجات ومغطى بالرخام الأبيض، أما السدة (مكان جوقة المرتلين)فكانت مقامة على النظام اليوناني أيضاً، وعلى اليسار وجدت كنيسة صغيرة بها تمثال للقديسة مريم العذراء قد صنعه القديس لوقا[١١٦٥]، وكانت تلك الكنيسة مدفناً للاتين وتنازع عليها الجنوية والبنادقة لفترة طويلة وانتهى الأمر بأن أصبحت الكنيسة مشتركة[١١٦٦]، وفيها كذلك كنيسة القديس ميشيل، التي كانت تابعة للرهبان السوريان الأرثوذكسي[١١٦٧] ثم تولى إدارتها اليعاقبة[١١٦٨].

كما وجدت كنيسة القديس مكاريوس على بعد أربعة عشر ميلا من الإسكندرية، وكانت عبارة عن دير جميل وممتع وبداخله كنيسة مغطاة بالرصاص وبها ثلاثة أصحن مدعمة بعشرة أعمدة وبداخلها مقبرة القديس وعظامه ومن يذهب إليها يقدم له الرهبان الطعام والشراب بدون مقابل[١١٦٩].

Beyond the seas , p. 85.

([1164]) Luodolph , Description of the Holy land , p. 64.

([1165]) Ghistele, Voyage en Egypte, pp.118-120,Harff,The Pilgrimage of Arnold Von Harff,p. 95.

([1166]) Larrivaz , Le Saints Peregrinations de Bernard p.71,Souriano, Treaties on the holy Land, p. 197.

([1167]) Ghistele , op.cit , p.120.

([1168]) Harff , op.cit , p. 95

([1169]) Nicolo , A voyage Beyond the seas, p. 85.

تغيرت معالم بعض الأماكن الأخرى المقدسة في الإسكندرية ولكن الرحالة عرفوا مكانها جيداً وفقاً لما ذكر في الكتاب المقدس وكتب القديسيين مثل، مكان تعذيب القديسة كاترين وسجنها ومسكنها، حيث زار الرحالة برنارد فون برندباخ المكان الذي قطعت فيه رأس القديسة كاترين[١١٧٠]، وفي شارع القديس مرقص وجدت الزنزانة التي سجنت فيها القديسة وهي عبارة عن حجرة يربى فيها بعض الحيوانات، وعند الدخول يميناً خلف البوابة توجد فتحة في الحائط كانت تجلس عندها القديسة وتعظ الناس، وأمام السجن وجد العمودان والعجلات التي تعذبت عليها القديسة كاترين[١١٧١]، وبجوار كنيسة القديس يوحنا المعمدان منزل يخص القديسة كاترين والآن (زمن الرحالة نيكولو) يعيش فيها والي المدينة[١١٧٢].

- **كنائس دمياط:**

وجدت في دمياط عدة كنائس هامة الأولى كانت تابعة للسوريان الأرثوذكس ومكرسة على اسم القديسة ماري جرجس، والثانية كانت تابعة لليونانيين الأرثوذكس ومكرسة باسم النبي أرميا والذي أقام في الكنيسة ودفن فيها ولكن القديس جيروم ذكر أنه دفن في تنيس [١١٧٣] وفي منفلوط جنوب القاهرة وجد دير به كنيسة صغيرة حيث أقامت فيه السيدة العذراء ويوسف النجار [١١٧٤] وسمى بدير المحرقة، كما وجد فيها أديرة أخرى كانت تخص القديس مقار[١١٧٥].

- **الأماكن المقدسة في صحراء سيناء:**

صحراء سيناء كانت الطريق الوحيد والمعتاد للمرور من الشام إلى مصر أو

([1170]) Larrivaz , Le Saints Peregrinations de Bernard , pp. 69 -70.

([1171]) Ghistele,Voyage en Egypte , pp.119 -120 , Frescobaldi ,A Visit to the Holy Places, p. 41.

([1172]) Nicolo, A voyage Beyond the seas , p. 85.

([1173]) Guid book to Palestine 1350 , p. 33 , Ghistele, Voyage en Egypte , p. 167,Schefer , Le Voyage de Thenaud , p. 122.

([1174]) Souriano , Treaties on the holy Land, p. 194.

([1175]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , pp. 52 -53.

العكس، ولذاكان لا يمكن المرور هكذا بدون رؤية وزيارة الأماكن المقدسة في سيناء وأهمها دير سانت كاترين، وجبل موسى، والمكان المعروف باسم العليقة المشتعلة [١١٧٦]، وسمي بذلك لأن المكان الذي التقى فيه الرب بموسى وسط نبات من الشوك المتوقد ولكنه لا يحترق[١١٧٧].

يعد دير سانت كاترين والجبال والأضرحة والأماكن الدينية في سيناء من مواقع قديمة ومقدسة، وقد أصبحت تلك الأماكن مزارات أساسية وتقليدية في زيارة الحجاج، وخاصة عندما قام الإمبراطور جستنيان الأول Justinian (٥٢٧ -٥٦٥م) بحماية دير سانت كاترين من خطر العربان في الصحراء، حيث أقام حوله أسوار ضخمة للحماية والتحصين بالإضافة إلى وجود حامي للدير مسيحي في القسطنطينية، وحامي مسلم في القاهرة يحميه من اعتداء العربان[١١٧٨].

وقد بنيت تلك الكنيسة خلال الفترة بين وفاة الإمبراطورة البيزنطية ثيودورا عام ٥٤٨م وبين تولي الإمبراطور جستنيان العرش عام ٥٢٧م، وسميت في البداية كنيسة التجلي ثم سميت باسم دير القديسة كاترين واستكمل البناء في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[١١٧٩]، وقد أمر الإمبراطور جستنيان ببناء الدير على هيئة قلعة أو حصن فوقه عدة قلالي (غرف للرهبان)، وذلك لحمايته من خطر البدو الذين اعتادوا الإغارة على الدير وعلى الرهبان[١١٨٠]، وهناك أسطورة تتعلق بأسباب بناء ذلك الدير مفادها إنه حدثت في إحدى السنوات مجاعة رهيبة فاضطر الرهبان إلى

([١١٧٦]) جوزيف نسيم، دراسات في تاريخ العصور الوسطي، الإسكندرية، ١٩٨٣ م، ص ١٢٧ - ١٢٨.

([1177]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 71.

([1178]) Prescott , Once to Sinai , p.77.

([1179]) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places , note (1),p. 111.

- وفي حقيقة الأمر فان الدير قد بنى بين عامي ٥٤٠ -٥٤٥ م بناء علي أوامر الإمبراطور البيزنطي جستنيان، انظر، قاسم عبده قاسم، أهل الذمة، ص ١٢٦.

([1180]) Souriano ,Treaties on the holy Land, p. 188 , Ghistele, Voyage en Egypte , p.159.

الهرب من الصوامع والغرف بحثاً عن الطعام تاركين جسد القديسة دون حراسة فتجلت لهم القديسة في الصحراء وأمرتهم بالعودة فعادوا إلى أماكنهم ليجدوا تلاً ضخماً من الحنطة والطعام فشيدوا الدير المعروف باسمها[١١٨١].

عاشت القديسة كاترين في الإسكندرية في فجر المسيحية وكانت تدين بالوثنية ولكنها تركت عبادة الأوثان واعتنقت المسيحية وأخذت تدعو لها فانزعج الوثنيون واستمرت تعظ وترشد الناس إلى طريق الله والحق إلى أن انتهى بها الأمر باستشهادها في الإسكندرية، ثم نقلت الملائكة جسدها على جبل سيناء وظلت هناك حتى تم بناء الدير وإقامة مقبرة خاصة بها وضعت فيها عظامها[١١٨٢].

ودير سانت كاترين مبنى قديم وشديد الجمال ومغلق بأسوار عالية كالحصن وبداخل الدير يوجد مكان يقيم فيه الرهبان وفي داخل الدير توجد كنيسة صغيرة في غاية الجمال والروعة ويتميز المكان بالنظام والنظافة وطابع الورع والتقوى[١١٨٣].

كما يوجد داخل سور دير سانت كاترين عدد من الكنائس أهمها كنيسة القديسة كاترين، وكانت تعرف من قبل باسم كنيسة القديسة مريم في العليقة، وعندما نقل جسد القديسة كاترين إليها سميت باسم كنيسة دير القديسة كاترين وهي في أيدي الرهبان الإغريق، وهي كنيسة مستطيلة واسعة مسقوفة بالرصاص من دون قبة أو برج، وأيضاً من دون نواقيس أو ألواح قرع خشبية وعوضاً عنها استخدموا عصا حديدية معلقة تعلق عليها أجراس برونزية، ويقرع عليها حافظ الذخائر المقدسة لدعوة الناس للصلاة، وعلق داخل الكنيسة الكثير من المصابيح والمذابح والأعمدة الأثنى عشر[١١٨٤].

كما يوجد في داخل الكنيسة صندوق به جسد القديسة كاترين، وهو عبارة عن

([١١٨١]) بيرو طافور، رحلة طافور، ص ٧٦ -٧٧.

([١١٨٢]) فايز اسكندر، مصر في كتابات الرحالة الروس، ص ٩ ؛ جوزيف نسيم، "دراسات في المخطوطات العربية بدير سانت كاترين "، مجلة آداب إسكندرية، العدد ٢٢، ١٩٦٩ م، ص ٩٥.

([1183]) Langnon , Le Saint Voyage, p. 46.

([1184]) Fabri , the wandering, vol 2 part 2 , pp. 512 -611.

صندوق مربع الشكل ومصنوع من الرخام الأبيض وعليه رسوم وأشكال ملونة والغطاء مصنوع من الرصاص وخشب الأرز، ووجد إلى اليسار من المذبح وبداخله أجزاء من عظامها تنضح بالزيت كل فترة رائحة عطرة ذكية، وقد اعتاد رهبان الدير تقديم ذلك البلسم أو الزيت هدايا للحجاج والوافدين [١١٨٥]، وبالقرب من الصندوق الرخامي إلى اليمين وجد مدخل كنيسة صغيرة يمكن الدخول منها إلى كنيسة أخرى إلى اليسار، وفي تلك الكنيسة المكان الذي شاهد فيه النبي موسى الشجرة العليقة كما جاء في الكتاب المقدس، حيث أخذ موسى ورواداً من الشجرة ونثرها على الجبل، وقد اندهش الرحالة لوجود الشجرة والورود حتى ذلك الوقت وفي نفس المكان قال الرب لموسى اخلع نعليك فذلك المكان مقدس، ولذلك يدخله رجال الدين والعلمانيون حفاة الأقدام احتراماً للمكان [١١٨٦].

أما باب الكنيسة فكان مرتفعاً فوق ٧ درجات حجرية والباب كبير مغطى بقبة من الخشب القبرصي، وأمام الباب ستارة سوداء، وداخل الكنيسة ذاتها نوع من السقيفة عرضها خمسة أقدام، وهناك باب لا يفتح وفوقه صورة بالفسيفساء للقديسة كاترين، وعلى الجانب الآخر صورة للنبي موسى، وأمامهما تشتعل ثلاثة مصابيح فضية[١١٨٧]، وداخل الكنيسة أيضاً ثلاثة صحون معتمدة على خمسة أعمدة رخامية لكل صحن، وداخل الدير وجد ثمان كنائس صغيرة، وفي الصحن المركزي المتوسط توجد السدة الصغيرة وأمامها حائط به باب على الطراز اليوناني، وخلف الحائط مذبح كبير وجميل وعنده صورة أخرى مزينة للقديسة كاترين والمسيح المخلص[١١٨٨]، كما توجد في الدير حديقة جميلة وواسعة أمام الدير وبها أنواع عديدة من الأشجار

([1185]) Ghistele , Voyage en Egypte , p. 162 ,Wright , Early Travelers , p. 158 , Schiltberger, The bondage and Travel of Johan, p.55,Langnon , Le Saint Voyage ,p. 47.

([1186]) Wright , Early Travelers , p. 158 , Schiltberger, The bondage and Travel of Johan, p.55,Langnon , Le Saint Voyage ,p. 47.

([1187]) Luodolph , Description of the Holy land, p. 84.

([1188]) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places , pp.59,113.

المتنوعة مثل، الزيتون والنخيل والرمان وفيها نبع مائي تروى منه الحديقة، وهناك رهبان يقيمون في غرف خاصة بهم يقومون بخدمة الحديقة ورعايتها ولا يذهبون إلى الدير إلا أيام الأعياد [١١٨٩].

كما توجد كنيسة أخرى صغيرة على الجبل حيث ظهرت عندها السيدة مريم العذراء لرهبان الدير حين تركوه وأبدوا عدم رغبتهم في الحياة فيه بسبب كثرة الذباب والحشرات فأمرتهم بالعودة إليه[١١٩٠]، وإلى أعلى توجد كنيستان أحداهما أكبر من الآخرى، وتقع الصغرى إلى اليمين وقامت بإنشائها القديسة مارجريت، وإلى اليسار الكنيسة الأخرى باسم كنيسة Helie [١١٩١].

وحين نصعد إلى أعلى الجبل نرى كنيسة صغيرة تبدو مثل المصلى تسمى بكنيسة موسى، وفي الخارج إلى اليسار توجد صخرة كبيرة جلس عليها موسى وأعطى الرب موسى الشرائع والألواح وعندها أقام موسى عليها أربعين يوماً[١١٩٢]، كما توجد بجوارها كنيسة صغيرة أخرى باسم القديس يوحنا المعمدان وفيها أجساد القديس يوحنا وكليمنت وآخرون ثم كنيسة القديس جيمس الرسول وكلها مزينة ومزخرفة بالفسيفساء والصور الجميلة[١١٩٣].

وعند المدخل الأول لدير القديسة كاترين باتجاه الشمال توجد غرف يقيم فيها الحجاج والرحالة القادمون للزيارة، وعند الدخول يصعد المرء إلى اليمين عدة سلالم حجرية تصل في نهايتها إلى عدد من الغرف بها الرهبان وبجوارها فرن لصنع الخبز وذلك الباب الحديدي الأول يحرسه الرهبان[١١٩٤].

عاش في دير سانت كاترين العديد من الرهبان اليونانيين والجورجيين

([1189]) Nicolo , A voyage Beyond the seas , p 105 , Langnon , op.cit , p. 48.

([1190]) Langnon, Le Saint Voyage, p. 49.

([1191]) Langnon , Le Saint Voyage, p. 49 Wright, Early Travelers, p. 159,

([1192]) Wright , Ibid , Langnon ,Ibid , p. 50.

([1193]) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places , p. 112.

([1194]) Nicolo , A voyage Beyond the seas , p. 105.

obeikandl.com

العرب والأجانب من كل من رجال الكهنوت والعلمانيين وعددهم اختلف من فترة لأخرى، ولكن من الواضح أن عددهم كان آخذا في النقصان، كما ذكر الرحالة لودولف Luodolph الذي زار مصر عام ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦ م أن عددهم كان حوالي ٤٠٠ راهب. [١١٩٥]، أما الرحالة الإيطالي جيوشي Gucci الذي زار الدير عام ٧٨٥هـ/ ١٣٨٤ م فقد ذكر أن عددهم كان من ٢٠٠ إلى ١٥٠ راهبا فقط[١١٩٦]، وأثناء زيارة بيرو طافور pero tafur عام ٧٤٣هـ/ ١٤٣٩م للدير وجد به من ٥٠ إلى ٦٠ راهبًا وخادمًا[١١٩٧]، وذكر فيلكس فابري Filx Fabri أن عدد الرهبان في الدير كان حوالي ١٠٠ ومؤخراً كانوا ٨٠ لكن الآن أي في عام ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م وصل عددهم إلى ٣٠ راهباً فقط[١١٩٨]، وفي عام ٨٩١هـ/ ١٤٩٦ م ذكر فون هارف Von Harff أن عددهم وصل إلي ٨ رهبان فقط [١١٩٩].

وقد تمتع دير سانت كاترين بعناية السلاطين المماليك وحمايتهم والدفاع عنه فقد صدرت مراسيم طوال عصر سلاطين المماليك إلى كبار موظفي الدولة في ثغر الطور وغيره من الثغور في مصر والشام، بتقديم كل التسهيلات اللازمة للرهبان، وتأمينهم في سفرهم بين أجزاء البلاد أو إلى خارجها، ومساعدة من يستخدمونهم على خلاص حقوقهم وأوقافهم وأملاكهم، كما أعفى الدير ورهبانه من كافة أنواع الضرائب اعتماداً على ما بأيديهم من المراسيم الشرعية والعهود[١٢٠٠].

ولكنهم في بعض الحالات قد تعرضوا للقهر والظلم وخاصة من قبل القبائل العربية المجاورة للدير في صحراء سيناء، حيث اتخذت علاقة الرهبان بالعربان شكلين متناقضين، فقد اعتمد الرهبان على البدو في أعمال تتعلق بحراسة

([1195]) Luodolph , Description of the Holy , p. 84.

([1196]) Frescobaldi ,op.cit , pp. 59 , 113.

([١١٩٧]) بيرو طافور، رحلة طافور، ص ٧٧.

([1198]) Fabri , the wandering, vol 2 part 2 , p. 616.

([1199]) Harff,The Pilgrimage of Arnold Von Harff, p.141 , Baumgarten , The Travel of Martin Baumgarten , p. 451.

([١٢٠٠]) قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر، ص ١٢٧.

الدير وإحضار الطعام إلي الرهبان مقابل أجور نقدية أو عينية من ناحية، كما أن العرب البدو كثيراً ما شنوا غاراتهم على الدير ورهبانه من ناحية أخرى فقد تعرض الدير لسوء معاملة العربان بصورة مستمرة، ولذلك كان الرهبان مضطرين لتقديم الخدمات المادية والعينية إليهم من الصباح الباكر حتى المساء وكذلك كل ما يطلبونه وإلا قاموا بسلب ونهب الدير بالقوة والإجبار، وأحياناً كان الرهبان يقدمون الطعام للعربان عن طريق حبل يتدلى من أعلى سور الدير ويرفضون دخولهم خوفاً من السرقة والنهب[١٢٠١]، وعندما كان فيلكس فابريFilx Fabri مع زملائه في زيارة للدير شعر بالقلق والإزعاج الشديدين بسبب شيخ العرب وقواته الذين عسكروا حول الدير وقد تصرف معهم البدو بذوق وحسن خلقٍ، ولكن ليس بسبب طباعهم الكريمة الحسنة بل بسبب الحصول على الدراهم والدنانير من الحجاج سواء بالسرقة أو بالرضا[١٢٠٢]، ومع نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي زادت الأمور سوءاً فقد ذكر الأب فرانسيسكو سوريانو Francisco Souriano أن العربان قد زاد إجرامهم واعتدوا على رهبان الدير بصورة بشعة حيث أقدموا على قتل رئيس الدير ورأى بنفسه الرهبان يلتفون حول الجثة وهم يبكون، وبذلك أصبحت حياة الرهبان في دير سانت كاترين مثل الجحيم، كما عاملوهم بقسوة وعنف شديد[١٢٠٣]، وقد بنى السور بطريقة جيدة حيث أن السور المحيط بالدير ضخم وسميك ومرتفع وعليه شرفات وأبراج، وبنى من حجارة منحوتة مربعة الشكل وهو محصن بشكل ممتاز في الجزء القريب من المدخل ومن البوابة حيث يمكنه أن يصمد طويلا ضد أي شخص يحاول اقتحامه وإحداث العبث فيه مثلما حدث قبل ذلك، فقد لاحظ فيلكس فابري filx Fabri أن السور قد تحطم في بعض الأماكن ثم أعيد بناؤه مرة أخرى[١٢٠٤].

([1201]) Souriano , Treaties on the holy Land , p. 188.

([1202]) Prescott , Once to Sinai , p. 78.

([1203]) Souriano , Treaties on the holy Land , p. 187.

([1204]) Fabri , the wandering, vol 2 part2 , p. 612.

كما لاحظ الرحالة فون هارف Von Harff زيادة في تحصينات الدير لحمايته حيث وجد عند مدخل الدير ثلاثة أبواب صغيرة مغطاة بالحديد ويحتاج الفرد إلى تسلقها لدخول الدير [١٢٠٥]، ثم زاد الرهبان في التحصينات بصورة أكثر غرابة أدهشت الرحالة جان تينو Jean Thenaud حيث ذكر أنه عندما يطرق الزائر الباب يتدلى حبل من قمة السور إلى داخل الفتحة حيث يدخل قدميه ويلفها ثم يشد الحبل وظل ذلك الرحالة أربع ساعات أمام بوابة الدير حتى فتح له الرهبان بعد أن تأكدوا من رحيل العربان[١٢٠٦]، كما كان يجب على الرهبان إرسال كل عام هدايا من حديقة الديرإلي القاهرة لإرضاء السلطان والعودة من القاهرة ومعهم صك الأمان والحماية حتى يضمنوا صداقة قوية معه كوسيلة لحمايتهم من العربان[١٢٠٧].

أما عن حياتهم الخاصة داخل الدير فإنهم أتبعوا نظم وتعاليم القديس باسيل basil وعاشوا حياة فقيرة قاسية بائسة، وكانوا يحصلون على الخبز من القاهرة عن طريق الجمال والقوافل المارة بالدير، وكل منهم كان يأكل رغيفاً واحداً فقط في اليوم، أما الخبز فكان يصنع من القمح أو الشعير بدون غربلة الدقيق ويأكلون الفاكهة مرتين في الأسبوع فقط من حديقة الدير مع طبق واحد من السمك المملح ولا يشربون الخمور إلا في المناسبات والأعياد الخاصة وليس لديهم أثاث خشبي[١٢٠٨].

كانوا يحصلون على دخل شبه ثابت من خلال الصدقات والهبات التي يقدمها الحجاج والرحالة الذين يزورون الدير، لأن الحجاج كانوا يقدمون الأموال والهدايا لهم، كما أن ملوك أوربا أرسلوا معهم الهبات والعطايا للرهبان مثل بارونات فرنسا

([1205]) Harff, The Pilgrimage of Arnold Von Harff, p. 140.

([1206]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 71.

([1207]) Prescott , Once to Sinai , p. 78.

([1208]) Wright , Early Travelers , p. 157 , Frescobaldi , A Visit to the Holy Places , p. 59 , 113 ,Harff , op.cit , p.140 , Schiltberger , The bondage and Travel of Johan , p. 55.

وملك إنجلترا والفلاندرز وألمانيا، حيث كان ملك فرنسا الملك لويس التاسع يرسل٢٠٠٠ دوكة ذهبية كل عام، في حين أنهم لم يكونوا يأخذون شيئاً من الحجاج مقابل إقامتهم في الدير إلا إذا تبرع أحدهم بشيء لخدمة الدير والرهبان[١٢٠٩].

- **المزارات المقدسة في القاهرة والفسطاط وبابليون:-**

أولى تلك الكنائس المقدسة هي كنيسة القديس توماس بين القاهرة وبابليون والتي بناها بنفسه لأنه كان يسكن هناك وقام بنشر الدين المسيحي ويقيم فيها ويتولى إدارتها مسيحي الحزام الهنود وعددهم كثير ويأتون من كل المدن والأقطار[١٢١٠].

كنيسة القديسة بربارة في حارة الروم في منطقة بابليون وتحوي جسد تلك القديسة[١٢١١]، وهي كنيسة جميلة وعريقة وذات قدسية خاصة واحترام وتقدير، ووجد المذبح خلف السدة وعلى يمين المذبح حائط ارتفاعه ٤ أقدام وبه صندوق به جسد القديسة بربارة، حيث كان يسمح للزوار بلمس جسدها وتولى إدارتها أيضاً مسيحي الحزام، ثم الرهبان اليونانيون[١٢١٢].

ثم كنيسة العمود أو يطلق عليها كنيسة القديسة مريم، حيث وجد فيها العمود الذي جلست عنده السيدة مريم العذراء ومستوى سطح تلك الكنيسة عال ومرتفع حيث كان يدخلها المرء عن طريق سلم طوله ٢٩ درجة والجزء الأوسط فيها به ١٦ عموداً يحملون القبة، وجهة اليمين عند المدخل توجد السدة المكونة من أربعة أعمدة رخامية بيضاء اللون، ولتلك الكنيسة أهمية وقدسية، ولذا كان يضاء فيها المصابيح باستمرار وعند دخول الكنيسة ترى على اليسار السدة حاجزاً مصنوعاً من خشب السرو على الطراز اليوناني، ويفصل المذبح عن المصلين ومطعم بالعاج، وهناك مذبح آخر

([1209]) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places,p.113, Harff, The Pilgrimage of Arnold Von Harff ,p.140,Souriano, Treaties on the holy Land , p. 188 , Luodolph , Description of the Holy , pp. 87 -88.

([1210]) Frescobaldi, A Visit to the Holy Places , pp.101, 198.

([١٢١١]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٤٢٤.

([1212])Frescobaldi ,op.cit , p. 101 , Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 51 , Nicolo , A Voyage Beyond the seas , p. 96 , Dopp, Le Caire , p. 118.

للسيدة مريم وعلى اسمها سميت الكنيسة، وأمامه حوالي٣٠٠ مصباح[١٢١٣]، وهي نفسها كنيسة السلم التي زارها الرحالة نيكولو وتبعد مقدار رمية حجر من كنيسة المغارة وعند دخولها تصعد ٣٠ خطوة وبها أيضاً عمود السيدة مريم[١٢١٤].

توجد كنيسة القديس مارتن للمسيحيين الأرمن على بعد ميل آخر عند الخروج من القاهرة نحو بابليون، حيث وجد بها جسد القديس الذي كان أسقف الإسكندرية[١٢١٥]، وقد تولاها أحياناً الرهبان النوبيون وفي أوقات أخرى اليونانيون[١٢١٦]، وبالسير في الشارع في منطقة بابليون لمسافة ميل آخر نجد كنيسة القديس ميشيل (ميخائيل) وكانت في أيدي المسيحيين اليونانيين والسوريان وهي كنيسة متسعة وجميلة وفيها ذراع القديسة مارجريت[١٢١٧].

قرب برج بابليون وجدت الكنيسة المعلقة، أو كنيسة العذراء بمدينة مصر القديمة في خط قصر الشمع[١٢١٨]، وبالسير إلى أسفل تلك الكنيسة لمسافة رميتي قوس

([1213]) Geshitele , Le Voyage en Egypte , p. 54.

([١٢١٤]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٤٢٥ ؛ Nicolo , A Voyage Beyond the seas , p. 96.

([1215]) Langnon , Le Saint Voyage, p. 63.

([1216]) Nicolo ,op.cit , p. 94 , Frescobaldi ,op.cit, pp. 51 , 198.

([1217]) Nicolo , A Voyage Beyond the seas , p. 95.

([١٢١٨]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٤٢٤.

- الكنيسة المعلقة: تقع الكنيسة المعلقة في حى مصر القديمة، في منطقة أثرية هامة، فهي على مقربة من جامع عمرو بن العاص ومعبد ابن عزرا اليهودي، و كنيسة القديس مينا بجوار حصن بابليون، و كنيسة الشهيد مرقوريوس (أبو سيفين)، و كنائس عديدة أخرى. و سميت بالمعلقة لأنها بنيت على برجين من الأبراج القديمة للحصن الروماني (حصن بابليون)، ذلك الذي كان قد بناه الإمبراطور تراجان في القرن الثاني الميلادي، و تعتبر المعلقة هي أقدم الكنائس التي لا تزال باقية في مصر.تذهب بعض الروايات إلى أن الكنيسة بنيت على أنقاض مكان احتمت فيه العائلة المقدسة (السيدة مريم العذراء، المسيح الطفل، و القديس يوسف النجار) أثناء الثلاث سنوات التي قضوها في مصر، انظر، موقع موسوعة الويكيبيديا العربية، مادة (الكنيسة المعلقة).

-كنيسة المغارة: تقع هذه الكنيسة في حارة القديسة بربارة خلف دير مار جرجس بمصر القديمة. أُنشئت في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي، وكرست على اسم سرجيون وواخس، وهما جنديان مشهوران كانا من صانعي أسرجة الخيل في بلاط الأمبراطور الروماني

وجد دير رائع، وبه كنيسة كبيرة تسمى كنيسة الكهف- كنيسة المغارة – كنيسة أبو سرجة، وكانت عبارة عن المنزل الذى عاشت فيه السيدة مريم العذراء مع طفلها يسوع عندما هربت به من الناصرة خوفاً من هيرودس الحاكم الروماني، وفي المكان مذبح وفي الوسط البئر الذي شربت منه العذراء ويديرها مسيحي الحزام[١٢١٩].

كذلك توجد كنيسة القديس مرقص في القاهرة حيث يوجد فيها جسده ملفوف بالحرير، وقد رآه الرحالة ولمسه – هذه خرافة من الرحالة فلا يعقل أن يظل جسد إنسان ما كما هو بعد وفاته بسنوات كثيرة - وهى كنيسة مزينة ومزخرفة وبها كنيسة صغيرة أخرى مدفون فيها زوجة ملك أرمينيا الصغرى عندما جاء إلى مصر مع بعض البارونات وأمراء قبرص، ثم أطلق سراحهم جميعاً ولكنها توفت ودفنت فيها[١٢٢٠].

هناك أديرة أخرى مقدسة على نهر النيل في الصحراء الغربية، حيث وجد ديران هما دير القديس أنطوان، ودير القديس بولا، ودير القديس أنطوان به كنيسة معلقة ومحصنة وتبدو كالقلعة وبالقرب منها برج للاعتكاف يقيم فيه ٣٠ راهباً وذلك القديس يطلق عليه أنطوان البندقي Antoine de Venice، وقد عاش حياته ناسكاً قرب نهر النيل ولكن الرب أمره بأن يعيش في الصحراء بعيداً عن الرفاهية والنعيم فرحل عن مسكنه إلى مكان آخر، حيث عاش في منزل كبير وجميل محاط

مكسيميانوس. انظر موقع، www.al-hakawati.net

([1219]) Langnon ,Le Saint Voyage, p. 63 , Larrivaz , Le Saints Peregrinations de Bernard , pp. 54 -55,Wright, Early travelers p. 144,Poloner, Description of the Holy Land,p.42,See also, Wolff, How Many Miles to Babylon ? op.cit, p.140.

([1220]) Frescobaldi, , A Visit to the Holy Places , pp51,103.

- الملكة الأرمينية هى مارجريت سيسون Margaert of Soisson وهى أرملة Humfroy of Scandelion ثم تزوجت من الملك ليو الخامس لوزنجيان Leo of Lusignan ووالدنها مارى توفيت في السجن في القاهرة وكلاهما توفيا بين عامي ١٣٧٩-١٣٨٢م وكانا مع الملك ليو عندما قبض على الملك القبرص بطرس لوزنجيان عام ١٣٧٧م الذى افتدى نفسه وهرب إلى بابا أفينون وتفي عام ١٣٩٣م في باريس.(Frescobaldi)

بأسوار عالية وسميكة مثل القلعة، ويجاوره كنيسة جميلة ومأوى للرهبان والحجاج، ثم بجواره دير القديس بول ويقيم به ستون راهباً وبه مصلى صغيرة ينزل إليها بعدة درجات أسفل صخرة، وقد كان القديس بولا يقيم هناك لأداء العبادة، ثم أقام القديس أنطوان مع بول ومات ودفن فيها[١٢٢١].

ذكر المقريزى عن دير الأب بولا أنه كان يقال عنه دير الأب بولس ثم سمي بدير الأب بولا، كما عرف بدير النمورة، وذلك الدير في البر الغربي من الطور على عين ماء يردها المسافرون والأب بولا، وهو من أهل الإسكندرية فلما مات أبوه ترك له ميراثاً كبيراً وأختلف مع أخيه على ذلك الميراث فخرج من الإسكندرية هائماً على وجهه حتى نزل عند تلك العين، فأقام هناك ومر عليه القديس أنطونيوس وعاشا الاثنان معاً وبنى ذلك الدير على قبره[١٢٢٢].

تعرضت تلك الكنائس إلى عمليات الهدم والتخريب لأسباب عديدة، إما بأمر سلطاني، أو بسبب فتنة بين المصريين والمسيحيين، أو بسبب عوامل جغرافية، ففي عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤م وقعت حادثة للنصارى أيام المنصور قلاوون، حيث زاد سلطان ونفوذ النصارى وتعالوا على المصريين المسلمين وتطاولوا عليهم وعلى الأمراء المماليك أيضاً وضاق بهم الأمير سنجر الشجاعي، فأمر بألا يعمل نصارانى ولا يهودي عند أمير من الأمراء، وأن يعرضوا عليهم الإسلام وإلا القتل، فهرب النصارى من بيوتهم، وتجمع العامة ونهبوا بيوت النصارى واليهود، ونهبوا الكنيسة المعلقة بمصر القديمة وكادوا يخربونها[١٢٢٣].

زار مصر الوزير المغربي وفي عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م وقد أغضبه ما شاهده من قوة النصارى وزيادة سلطانهم وعدم التزامهم بالعهد العمرى، فغضب لذلك وطلب من الأمير سلار وبيبرس الجاشنكير تولى الأمر، فأغلقوا بعض الكنائس منها

([1221]) Langnon , Le Saint Voyage , pp. 68 -72.

([١٢٢٢]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٤١٠.

([١٢٢٣]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٤٠٢-٤٠٣.

كنيسة في حارة زويلة لليعاقبة وكنيسة بحارة البندقايين وغيرهم في القاهرة[١٢٢٤].

كما هدمت عدة كنائس في مصر في ساعة واحدة ففي عام ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بحفر بركة بجوار كنيسة الزهري غربي اللوق فتأثرت الكنيسة بالحفر، فاستقبل بعض العامة ذلك القرار بالفرح وهدموا الكنيسة حتى صارت تراباً، وأخذوا ما فيها وهدموا كنيسة بومنا بالحمراء بحارة الروم، ثم اتجهوا إلى كنيستين بجوار السبع سقايات، ثم خربوا كنيسة بحارة الروم، وبحارة زويلة واتجهوا إلى الكنيسة المعلقة بقصر الشمع فأغلقها النصارى وهم محاصرون وبعد عدة أيام هدمت أربع كنائس في الإسكندرية وكنيستان في دمنهور وست كنائس في قوص[١٢٢٥].

ومن المزارات المسيحية المقدسة في مصر منطقة المطرية وكانت قرية صغيرة قرب عين شمس، وتبعد حوالي عشرة كيلو مترات شمال شرق القاهرة، وهي ذات قدسية ومكانة خاصة في نفوس كل المسيحيين الوطنيين والأجانب، ولذا زارها كل الرحالة الذين وفدوا على مصر، ففي ذلك المكان وصلت السيدة مريم العذراء وولدها الرضيع السيد المسيح في حالة من الإعياء الشديد والتعب والعطش، وذهبت تبحث عن الماء في كل مكان ولكنها لم تجده، وحين عادت وجدت الماء يجرى تحت قدمي ابنها الوليد فشعرت بالسعادة والفرح وقامت بغسل ملابس الطفل ومع كل قطرة ماء سقطت من ملابسه نبتت شجرة صغيرة كانت ذابلة وهي شجرة البلسان أو البلسم العطرية[١٢٢٦].

ذلك البئر أو العين المسماة بعين مريم وضعت في غرفة مغطاة بنبات الصفصاف ويخرج من تلك العين قنوات مائية يغتسل منها الزوار، وقيل إن ذلك الماء له مزايا علاجية تعالج بعض الأمراض، وعلى يسار البئر بقليل توجد فتحة مربعة

([١٢٢٤]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٣٣ -١٣٥ ؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص ١٤٠ -١٤١ ؛ المقريزي، السلوك، ج١ ق٣، ص ٩١٢ – ٩١٣.

([١٢٢٥]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٤٢٧ -٤٣٣.

([1226]) Langnon, Le Saint Voyage ,pp. 56 -57 ,Frescobaldi , A Visit to the Holy Places , p. 54 ,Guide book , vol 6 , p. 32.

الشكل كأنها نافذة مغلقة ومزينة بالأحجار والرخام الأبيض، ويقال أن السيدة مريم كانت تضع فيها ابنها المسيح ولذلك السبب يوقدون فيها مصباح يتركونه مضاء باستمرار[١٢٢٧].

كما وجد في المطرية حديقة البلسم الرائعة التي كانت محاطة بأسوار حصينة وبلغ اتساعها حوالي ٦٠ – ٧٠ قدماً وشجرة البلسم أو البلسان تشبه شجرة الكرمة ولا تنمو في أي مكان آخر، وكان السلطان يضع على الحديقة حراسة شديدة لأن تلك الشجرة كان يخرج منها زيت أو دهان رائع اعتاد السلاطين أن يرسلوه هدايا إلى ملك الحبشة والقسطنطينية وملوك أوربا والبطاركة، ونظراً لأهميته كان السلطان المملوكي يحضربنفسه حصاد النبات في شهر أكتوبر، ويقوم بتوزيعه على المارستانات لعلاج الكسور والباقي يباع بسعر خاص للأجانب نظراً لاستخدامه في عمليات التعميد عند النصارى. [١٢٢٨]، وأمام حديقة البلسان توجد شجرة التين (والمقصود بها شجرة الجميز) الضخمة ولونها أحمر وفي داخل الجزع فجوة ضئيلة كانت تختبئ فيها السيدة مريم وابنها السيد المسيح[١٢٢٩].

- **المزارات والمقدسات اليهودية في مصر:**

يتناول ذلك العنصر ذكر للمعابد والكنائس اليهودية في مصر وفقاً لما ذكره الرحالة الأجانب عنها وهما اثنان فقط أحدهما ميشولم بن مناحم الذى زار مصر عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١ م، والآخر هو عوبديا جاريه الذي جاء إليها عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧ م.

- **معابد اليهود في الإسكندرية والقاهرة والفسطاط:**

وجد في الإسكندرية معبدان فقط لليهود، معبد صغير وآخر كبير، وثبت أن المعبد الصغير قد بناه النبي إلياس وقد اعتاد اليهود الصلاة فيه وبداخله أنوار مضيئة

([1227]) Geshitele,Voyage en Egypte , p. 72 , Nicolo, A Voyage Beyond the seas, p. 93 .

([١٢٢٨]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٢٨٧ ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص ٢٢٨ ؛ ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ١٣٣ ؛

Frescobaldi, , A Visit to the Holy Places , p. 107 , Wright , Early Travelers , p. 153.

([١٢٢٩]) بيرو طافور، رحلة طافور، ص ٧١ ؛ Langnon, Le Saint Voyage , p. 58.

وبه اثنان من الشمامسة وهما المسئولان عن إدارته وحدث شيء غريب في ذلك المعبد عام٨٦٠هـ/١٤٥٥م في ليلة رأس عيد الغفران هو أن الراهبين عندما ذهبا للنوم في المعبد رأيا في منتصف الليل رجلاً عجوزاً يجلس على كرسي فتقدموا نحوه في خضوع وخشوع وتوسلوا إليه وعندما اقتربا منه أكثر صعد إلى السماء ولم يعرفا من ذلك الرجل، وفيه أيضاً ٢٤ نسخة من الكتاب المقدس على أوراق البردي في أربعة أجزاء بخط رائع، وكذلك لفافة من الورق فيها القوانين والقواعد التي وضعها النبي عزرا وكذلك أعداد أخرى من المخطوطات اليهودية[١٢٣٠].

وقد أحصي المقريزي عدد الكنائس اليهودية في القاهرة بحوالي ١١ كنيسة مثل، كنيسة دموه بالجيزة، وكنيسة جوجر، وفي الفسطاط كنيسة بخط المصاصة في درب الكرمة وكنيستان بخط قصر الشمع وبالقاهرة كنيسة بخط الجودرية وفي حارة زويلة خمس كنائس[١٢٣١]، كما وجد في الفسطاط دير للنبي إلياس، مثلما وجد في الإسكندرية، وقيل إنه قد عاش فيه ويقع في الناحية الجنوبية الغربية[١٢٣٢]، وهناك دير آخر سمي كنيسة جوجر عاش فيها أيضاً[١٢٣٣]، وفي خط المصاصة بالفسطاط هناك كنيسة المصاصة التي بنيت عام ٣١٥ م وزعم اليهود أنها كانت مجلساً للنبي إلياس[١٢٣٤]، وكان فيها أيضاً معبد آخر للنبي عزرا قيل أنه عاش فيه وكتب التوراة بخطه، وكانت البردية موجودة حتى حاول أحد اليهود الأوربيين ذات مرة شرائها من خادم المعبد وحاول السفر إلى الإسكندرية، ثم إلى أوربا فغرقت السفينة، أما الخادم الذي باع البردية بمائة دوكة ذهبية فقد مات بعدها مباشرة ولكن البردية الأصلية ما زالت في المعبد، وحائط المعبد مبني منذ ٣٨ عام قبل هدم المعبد المجاور له، ولكنه ليس مساوياً له في الحجم والمساحة، و كان يذهب إليه اليهود

([1230]) Adler , Jewish Travelers , pp. 161 -162 , 222.

([١٢٣١]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٣٥٠.

([1232]) Adler, Jewish Travelers,pp.167,230.

([١٢٣٣]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٣٥٨

([١٢٣٤]) نفس المصدر، ص ٣٦٠.

للصلاة في يوم السبت[١٢٣٥]، وذلك المعبد ذكره المقريزي باسم كنيسة الشاميين بخط قصر الشمع ومكتوب على بابها بالخط العبراني حفراً في الخشب بأنها بنيت في سنة ٣٣٦ ق.م وقيل أيضًا إن بها التوراة مكتوبة بخط النبي عزرا[١٢٣٦].

قرب مدينة الجيزة وعلى مسافة قريبة من الأهرامات وجد معبد آخر مكرس للنبي موسى عليه السلام وهو نفس المكان الذي اعتاد الجلوس فيها[١٢٣٧]، وذكره المقريزي بأنه بكنيسة دموة وكانت تعد أعظم معابد اليهود بأرض مصر و اثبت اليهود أنه الموقع الذي أقام فيه موسى حين كان يبلغ رسالته، وزعم اليهود أنها قد بنيت بعد خراب بيت المقدس الخراب الثاني قبل الميلاد وبتلك الكنيسة شجرة كبيرة منذ عصر النبي موسى عليه السلام، ولتلك الكنيسة عيد يرحل إليها اليهود وهو عيد الخطاب في شهر مارس ويجعلون ذلك بدل حجهم إلى القدس[١٢٣٨].

- **المزارات والمقدسات المسيحية في بلاد الشام:**

قال الحنبلي إن في القدس الشريف عدة كنائس هامة للنصارى يحجون إليها أهمها كنيسة قمامة، فإنها عند النصارى بمكان عظيم وبناؤها في غاية الإحكام والإتقان، ويقصدونها في كل سنة من عدة أقطار الفرنج والروم وبلاد الأرمن والديار المصرية والشامية، ويليها كنيسة صهيون، ثم مار يعقوب بدير الأرمن قرب صهيون، وكنيسة المصلبية لطائفة الكرج بظاهر القدس جهة الغرب[١٢٣٩].

كنيسة الضريح المقدس: تسمى بكنيسة (القيامة – القمامة – الشهيد) وتعد البقعة الأولى التي يجب أن يراها الزائر بسبب قدسيتها ومكانتها وتقع في منتصف مدينة بيت المقدس، وفي البداية لم يهتم المسيحيون بالأماكن الخاصة بالمسيح ولكن بعد اعتناق الإمبراطور قنسطنطين المسيحية وجعلها الدين الرسمي للدولة، جاءت الإمبراطورة هيلانة إلى القدس للبحث عن المكان الذي صلب فيه المسيح وعن مكان الصلب ذاته،

([1235]) Adler,op.cit , p. 231

([١٢٣٦]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٣٦١.

([1237]) Adler , op.cit , p. 167.

([١٢٣٨]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٣٥٠.

([١٢٣٩]) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ٥١.

وعندما وجدتهما أمرت ابنها الإمبراطور ببناء كنيسة على تل الجلجثة (كلفاري Calvary - جبل أكرا – جبل الصلب) في مكان صلب المسيح، وكنيسة أخرى مكان القبر وقد استغرق بناؤها أحد عشر عاماً من عام ٣٢٥ م إلى ٣٣٦ م، ولكن الفرس هدموها عام ٦١٤ م، ثم أعاد بناءها الإمبراطور هرقل، وقد تعرضت للهدم من قبل الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م وظلت خراباً حتى عام ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م حين عقد إمبراطور بيزنطة معاهدة فأرسل المهندسين والمعماريين فوراً من القسطنطينية وبنيت الكنيسة من جديد، وعندما قامت الحروب الصليبية في عهد الملك الصليبي بلدوين الثالث Baldwin iii (٥٣٨-٥٥٨) (١١٤٣-١١٦٢م) إلى المعماري الفرنسي جوردان بتوحيد البناء على الطراز القوطي في أوربا[١٢٤٠].

هكذا فإن كنيسة القيامة تعد من أهم وأعظم الكنائس في بلاد الشام على الإطلاق ومزاراً أساسياً للحجاج والرحالة لدرجة أنهم كانوا يدخلونها عدة مرات طوال فترة إقامتهم في بيت المقدس، حيث احتوت على قبر المسيح وعلى عدد من الكنائس والمعابد الصغيرة ذات الطابع المقدس والتي ارتبطت بحدث ديني هام ونظراً لقدسيتها فقد وصفها الرحالة المسلمون أيضاً مثل الرحالة ناصر خسرو حيث قال عنها للنصارى في بيت المقدس كنيسة لها عندهم مكانة عظيمة يحج إليها في كل سنة كثير من بلاد الروم وتلك الكنيسة الفسيحة العظيمة ومزخرفة بالرخام الملون والنقوش والصور منها صورة للسيد المسيح مطلية بزيت السندوس الذي يستخرج من صمغ بعض الأشجار وصور أخري ومغطي سطح كل لوحة بالزجاج الشفاف وبها أيضًا لوحة مقسمة إلي قسمين لوصف الجنة والنار وليس في العالم كنيسة مثلها ويقيم بها كثير من القساوسة والرهبان يقرءون الإنجيل ويصلون ويشتغلون بالعبادة ليلًا ونهارًا وفيها دير للرهبان الفرنسيسكان الذين يخدمون الكنيسة وبها عدد آخر من الأديرة وكل طائفة مسيحية لها مكان محدد في كنيسة القيامة وأعظم احتفالاتهم في أيام الأسبوع

([١٢٤٠]) محمود العايدي، قدسنا، القاهرة، ١٩٧٢ م، ص ٣٨ ؛ محمد كرد، خطط الشام، ج٦، ص ٦-٧

Patterson (W.) , Sacred Sites , New York , 2004 , p. 48.

المقدس وعيد الفصح [١٢٤١]، وتلك الكنيسة قد سميت بكنيسة قمامة لأن مكانها كان موضعاً للقمامة وإلقاء القاذورات حيث كانت تقع خارج المدينة وفي ذلك المكان أيضاً تقطع فيه أيدي المفسدين وتصلب به اللصوص[١٢٤٢].

كنيسة الضريح وغيرها من الأماكن المقدسة كانت في أيدي المسلمين، وقد امتلكوا مفاتيحها حيث كان يتولى مفاتيحها ثمانية من مسلمون كان السلطان يختارهم بنفسه من أسرة مسلمة مقدسية أي مقيمة في بيت المقدس، وهم تحكموا في فتحها وإغلاقها والكنيسة ذات ثلاثة أبواب، اثنان منها مغلقان والآخر مفتوح ولا يسمح الحارس المسلم لأحد بدخولها إلا بعد الحصول على التصريح والإذن من حاكم بيت المقدس أو من السلطان وبعد دفع الرسوم يفتحون الباب ويتركونه فيها لصباح اليوم الثاني ويغلقون الباب. [١٢٤٣]، وعلى أية حال فإن أبواب الكنيسة كانت تفتح مرتين في السنة مجاناً لكل المسيحيين، ومواعيد الفتح هي من يوم الجمعة الحزينة حتى الاثنين من عيد الفصح، ومن عشية عيد الصلب حتى مساء اليوم الثاني، وكانت الكنيسة في تلك الأيام مزدحمة بالرجال والنساء من جميع بلدان العالم[١٢٤٤].

الكنيسة مستديرة الشكل وبلغ مقياس قطرها بين الأعمدة ٧٣ قدماً باستثناء الأجزاء البارزة التي بلغ مقياسها ٣٠ قدماً حول جدار الكنيسة. [١٢٤٥]، وكانت مغطاة بالرصاص، وفي وسط الكنيسة مظلة تشبه المنزل الصغير بها باب منخفض وهى مزينة بالذهب والفضة وأحجار اللازورد وألوان عديدة وجميلة، وفى جهة اليمين منها وجد الضريح المقدس حيث دفن السيد المسيح[١٢٤٦]، كما احتوت تلك الكنيسة

([١٢٤١]) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٨٨ -٨٩.

([١٢٤٢]) الهروي، الإشارات لمعرفة الزيارات، ص ٣٣.

([1243]) Nicolo , A voyage Beyond the seas , pp. 12 ,16,Casola , Pilgrimage to Jerusalem ,p. 59,Fabri , the wandering , vol 1 part 2, p. 340.

([1244]) Fabri , the wandering , vol 1 part 2,p. 427.

([١٢٤٥]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٣٨.

([1246]) Wright , Early Travelers , p. 166 , Shilterberger , The bondage and Travel of Johan, , p. 57.

علي العديد من الأديرة والكنائس داخلها وخارجها، وقد بنيت تلك المباني المقدسة في أماكن ذات قدسية ومكانة روحية ودينية هامة فعلى سبيل المثال، خارج الكنيسة في الساحة توجد أربعة كنائس صغيرة، الأولى، كنيسة القديسة مريم العذراء حيث ظهر لها السيد المسيح، وكان يديرها المسيحيون الهنود، والثانية على نفس الجانب وسميت كنيسة القديس يوحنا المبشر وكان يديرها طائفة اليعاقبة ومكانها حيث صلب المسيح، والثالثة على اليد اليمنى بجوار برج الناقوس وهي كنيسة مريم المجدلية والتي كان يديرها طائفة اليونانيين، والرابعة كنيسة القديس يوحنا المعمدان[١٢٤٧]، وفيها كنيستان واحدة تحت الأرض على الطراز البيزنطي بنيت عام ٤٥٠م، والأخرى فوقها وعندما أستولى الصليبيون على بيت المقدس اتخذوا الدير والكنيسة مستشفى ومقراً لفرسان القديس يوحنا، وعندما استردها صلاح الدين أعادهما للرهبان[١٢٤٨].

وجدت صخرة الصلب في الكنيسة على الجانب الأيمن قرب السدة والتى اطلق عليها جبل الصلب حيث وضع السيد المسيح على الصلب، كما وجدت صخرة بيضاء اللون ملطخة بدماء وعليها الصليب[١٢٤٩]، وفي ذلك المكان بنيت كنيسة الصلب (الجلجثة) ذات الشكل المستطيل بالرخام وزينت بأعمال الفسيفاء، والرسوم ولها أبراج أمام السدة وهي مفتوحة من أعلى[١٢٥٠]، وعلى جبل الصلب حدثت أمور أخرى حيث قتل هابيل أخاه قابيل وافتدى إبراهيم ابنه إسماعيل وذبح موسى الحمل في عيد الفصح عند اليهود ووجد عليه رأس آدم عليه السلام[١٢٥١]، وجبل الصلب يقع في

([1247]) Souriano, Treaties on the holy Land , p.41 ,Poloner, Description of the Holy Land,p. 4 ,Guide book ,vol 6 , p. 259.

([١٢٤٨]) عارف العارف، تاريخ القدس، ص ٢٣٩.

([١٢٤٩]) بيرو طافور، رحلة طافور، ص ٤٥ ؛ Wright , Early Travelers , p. 166.

([1250]) Luodolph ,Description of the Holy land, p. 103, Fabri , the wandering, vol 1 part 2,p 364.

([١٢٥١]) Fabri , the wandering, vol 1 part 2 , p. 364.

- هنا بعض الأخطاء العلمية التي ذكرها الرحالة الأوربيين، حيث قتل هابيل أخاه قابيل على جبل قاسيون في دمشق وفيه مغارة الدم، أما سيدنا إبراهيم فقد افتدى ابنه إسماعيل عند الصخرة التى في

الجانب الغربي من جبل موريا ويبعد حوالي ٢٠٠ خطوة خارج أسوار أورشليم القديمة وكان مكان تطبيق العقوبات أيام السيد المسيح[١٢٥٢]، وفي الساحة أيضاً قرب صخرة الصلب كنيسة صغيرة منحوتة في الصخر وليس بها نوافذ بل مذبح وبابان، وكان ذلك المكان سجناً أيام السيد المسيح يحبس فيه المجرمين وبه أدوات التعذيب مثل الصليب والمشنقة والعجلات وأخشاب للنار[١٢٥٣]، وعند دخول كنيسة الضريح ناحية اليمين توجد غرفة مظلمة فيها قبر الملك الصليبي جودفري Godfrey of Bouillon(٤٩٣-٤٩٤هـ) (١٠٩٩-١١٠٠م)، وأخيه بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤-٥١٢هـ) (١١٠٠-١١١٨م) وغيره من الملوك الصليبيين[١٢٥٤]، ثم كنيسة القديسة هيلانة ذات الباب الكبير وهي عبارة عن حوائط صخرية وعلى بعد عدة خطوات لأعلى يوجد سقف مقوس به فتحة يدخل منها النور وذلك السقف يعتمد على الأعمدة التي كانت تدعم الساحة التي حكم فيها السيد المسيح، وأحضرتها الإمبراطورة هيلانة لتدعم بها كنيستها واحتوت الكنيسة على مذبحين وبجوار المذبح الكبير ناحية اليمين يوجد كرسي حجري وعنده وجدت الإمبراطورة هيلانة الصليب المقدس[١٢٥٥].

أما عن وصف الضريح المقدس نفسه فهو مستدير الشكل ويبدو عليه أنه

منى في مكة المكرمة وعنده المنحر الآن، أما سيدنا آدم عليه السلام فقد دفن في جبل أبى قبيس في مكة المكرمة ثم نقله سيدنا نوح عليه السلام وقت الطوفان إلى الكوفة في منطقة النجف الأشرف في مكان يسمى مرقد نوح م يقال أنه دفن في بيت المقدس. (الباحثة)

([1252]) Peters , Jerusalem The Holy City , p. 41.

- جبل الصلب: خصص لأولئك الذين حكم عليهم بالموت وحلقت شعورهم واصبحوا صلعاء وغدت جماجمهم بيضاء وجردوا من الطبيعة البشرية ولم يدفنوا في التراب ولذا دعي المكان باسم الجمجمة (الجلجثة)، انظر، يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٦٢.

([1253]) Fabri , the wandering, vol 1 part 2 , p. 364 , Casola , Pilgrimage to Jerusalem , p. 260 , Potvin , Oeuvres de Ghillebert, p. 75.

([١٢٥٤]) بيرو طافور، رحلة طافور، ص ٤٦ ؛

Casola ,Ibid , p. 275 , Fabri , Ibid, vol 1 part 2, p. 372 ,

([1255]) Fabri , the wandering, vol 1 part 2, pp. 356 -361.

برج منخفض وعليه رسم لملاكين عند زواياه وفوق الضريح قبة يدعمها ٢٥ عموداً، ومحاطة بإفريز دائري والمقبرة ذاتها مغطاة بالرخام الأملس من الداخل والخارج، وفوق تلك القبة قبة أخرى مرتفعة جداً قائمة على أعمدة كبيرة الحجم، وبها فتحة كالنافذة مصنوعة من خشب شجر السرو القبرصي وخشب الأرز، والقبة مغطاة بالرصاص، وفي تلك الحجرة التي بها الضريح باب واحد صغير ومنخفض وأمام مدخل الغرفة توجد الصخرة التي كانت غطاءاً للضريح وفوقها أيضًا قبة أخري بها نافذتان ويتدلى من سقف الضريح ٤٠ مصباحاً[١٢٥٦].

- **مقدسات ومزارات جبل الزيتون ووادي يوشفات:**

توجد كنيسة الجسمانية عند سطح جبل الزيتون وكانت موضع حديقة كان يجلس فيها السيد المسيح وألقى القبض عليه فيها من قبل الجنود الرومان نتيجة خيانة يهوذا، وبها الصخرة التي كان يقف عليها وما زالت عليها آثار قدميه[١٢٥٧]، وفي ذلك المكان اصطحب المسيح تلاميذه قائلاً لهم: ستظل روحي حزينة حتى الممات وهناك تلقى القديس توما حزام السيدة مريم العذراء وبكى المسيح على أورشليم يوم عيد الفصح، وفيها أعطي جبريل سعفة النخيل للسيدة العذراء[١٢٥٨]، وهناك أيضاً على جبل الزيتون كنيسة للقديسة بيلاجيا Pelagia والتي كانت محظية وقد وهبها المسيح نعمة التوبة والغفران وجعل منها مثلاً للمعتبرين[١٢٥٩]، وعلى جبل الزيتون

([1256]) Fabri , the wandering, vol 1 part 2, pp. 398 -416, Souriano , Treaties on the holy Land, pp. 46 -47 , Luodolph, Description of the Holy land,pp. 104 -105.

([١٢٥٧]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٣٦ ؛ Potvin , Oeuvres de Ghillebert , p.77 , Guide book , vol 6, p. 16 ,Langnon , Le Saint Voyage , p. 17.

([1258]) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places , p. 72 , Potvin , Ibid , R. B , Two Journey to Jerusalem , p. 36.

([١٢٥٩]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٤٨ ؛

Potvin, Oeuvres de Ghillebert, p. 78 , Guide book ,vol 6, p. 15.

أيضاً توجد كنيسة المخلص في الموضع الذي صعد منه السيد المسيح إلى السماء والذي تم تحديده في منتصف الكنيسة وفوق الموضع فتحة حيث صعد منها المسيح وبقيت مفتوحة هكذا[١٢٦٠] وسميت أحياناً بكنيسة الصعود أو كنيسة الزيتون وهي كنيسة مستديرة الشكل ولها قبو وسرداب وعاش فيها عدد قليل من النساء والراهبات[١٢٦١] وأطلق عليها الرحالة المسلم الهروى اسم كنيسة السليق[١٢٦٢]، وهناك كنيسة أخرى صغيرة وهي الموضع الذي علم عنده السيد المسيح تلاميذه الصلاة الربانية وسميت باسم كنيسة الصلاة الربانية أو باسم كنيسة بيت الخبز[١٢٦٣].

توجد كنيسة ضريح السيدة مريم العذراء في وادي يوشفات والتي فيها مقبرة السيدة العذراء وهي كنيسة تحت الأرض قليلاً بعدة خطوات، وقد كانت الكنيسة فوق الأرض ولكن نتيجة السيول من جبل الزيتون هبطت تحت الأرض قليلاً واحتوت الكنيسة على عدة مذابح والضريح في وسطها في داخل غرفة مضيئة بالمصابيح والكنيسة لها مدخل واحد من الغرب، والآخر من الشمال، والمكان ليس مخصصاً لطائفة معينة بل المذبح يخص طوائف عديدة، فالمذبح الذي بجوار الضريح للأرمن والثاني تحت القبة للجورجيين، والثالث تحت النافذة لليونانيين، والرابع عند زاوية الشمال للاتين، والخامس بجوار المدخل للهنود وفي داخل الكنيسة أيضاً مقبرة عظيمة مغطاة بالرخام الأبيض حيث دفنت الملكة Millicent التي بنت الكنيسة وعلى الجانب الآخر من السلالم توجد مقابر مزينة ومزخرفة ومنها مقبرة السيدة حنا أم السيدة مريم

([١٢٦٠]) بورخاد، وصف الأراضى المقدسة، ١٤٨ ؛ بيرو طافور، رحلة طافور، ص ٤٦ ؛
Luodolph , Description of the Holy land,p. 112.

([1261]) Souriano, Treaties on the holy Land,, p. 118.

([١٢٦٢]) الهروي، الإشارات لمعرفة الزيارات، ص ٣٣.

([١٢٦٣]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٤٨ ؛
Fabri , the wandering, vol 1 part 2 , p. 501 , Luodolph ,op.cit , p. 112.

obeikandl.com

العذراء والأخرى لوالدها عمران. [١٢٦٤]، ومفاتيح تلك الكنيسةكانت مع رهبان دير صهيون وذلك بعد الإذن والتصريح بذلك من السلطان المملوكي[١٢٦٥].

ومن المزارات الأخرى بركة سلوان في وادي يوشفات عند أسفل جبل صهيون والتي تتدفق منها المياه عبر قناة إلى البركة العليا وبركة الاستحمام في سلوان، وفيها يقوم الحجاج المسيحيون بالاغتسال والاستحمام كما فعل السيد المسيح مع الرجل الأعمى الذي شفاه[١٢٦٦].

- **مزارات ومقدسات جبل صهيون:**

وجدت كنيسة القديس متى في الطريق إلى جبل صهيون وفيها أحضرت الملائكة رأس القديس من يافا حيث قطعت رأسه هناك[١٢٦٧]، وعلى الجبل كنيسة القديس المخلص أو المنقذ والذي كان في الأصل منزل Caiaphas حيث اعتقل المسيح لأول مرة وعُذِبَ وجُلِدَ بالسوط، وعلى الحائط خارج بوابة الكنيسة يوجد جزء من العمود الذي ربط عليه السيد المسيح، وفي نفس المكان كان بطرس الرسول يتنكر للمسيح عندما ظهر بعد وفاته، وهناك أيضاً السجن الذي سجن فيه المسيح حتى الصباح ثم أرسلوه إلى الحاكم الروماني بيلاطس[١٢٦٨]، ثم إلى أعلى نجد كنيسة القديس يوحنا المبشر[١٢٦٩]، وعليه عدة أماكن مقدسة أخرى مثل الحجرة التي عاشت فيها العذراء بعد وفاة ولدها، وهناك المصلى الذى كانت تصلى فيه، وقرب الكنيسة

([1264]) Fabri , the wandering, vol 1 part 2 , pp. 464 -469 , Poloner , Description of the Holy Land , p. 7.

([1265]) Souriano , Treaties on the holy Land,pp.112 – 114.

([١٢٦٦]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٣٦ ؛

Fabri , the wandering, vol 1 part 2 , p. 526 , Wright , Early Travelers , p. 175.

([1267]) Wright, Early Travellers, p, 173 , Guide book ,vol 6, p. 10.

([1268]) Guide book , Ibid , p. 11 , Frescobaldi , A Visit to the Holy Places, p. 75 , Shilterberger , The bondage and Travel , p. 59.

([1269]) Guide book , ibid.

المكان الذي تناول فيه المسيح العشاء مع حواريه وقدم لهم جسده ودمه في شكل خبز وخمر[١٢٧٠].

تعد كنيسة ودير جبل صهيون من أهم المقدسات والمزارات المسيحية في جبل صهيون وبلغ طول كنيسة صهيون ١٠٠ ذراع وعرضها ٥٠ ذراعاً وبها ثلاثة صحون ومغطاة بالبلاط والرخام الرائع والأرضية بالفسيفساء وقد دمرت تلك الكنيسة عام ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، ثم إعادة بناءها الدوق فيليب الطيب البرجندي (١٣٩٦ – ١٤٤٦ م)، وأنفق عليها ١٤٠٠٠ دوكة ذهبية لإعادتها كما كانت[١٢٧١]، وأصبحت غاية في الجمال والروعة وقيل أن تلك الكنيسة كانت عبارة عن الغرفة التي تناول فيها السيد المسيح العشاء الأخير مع تلاميذه قبل وفاته حيث يوجد المذبح العالي، وعلى الجانب الآخر الأيمن من المذبح يوجد مذبح آخر حيث غسل المسيح أقدام تلاميذه وخارج الكنيسة على الجانب الأيمن بالاتجاه إلى مساكن الرهبان يوجد المكان الذي وقف فيه الحواريون ونزل عليهم الروح القدس وتحتها كنيسة صغيرة للقديس توما الذي كان تلميذ المسيح[١٢٧٢].

عاش في الدير رهبان وكان به حارس للدير مسيحي من طائفة الرهبان الفرنسيسكان وسمى القيم على دير صهيون أو حارس الدير أو رئيس الأساقفة وكان تحت إمرته ثمانية رهبان أو أكثر موزعين كالآتي، اثنان في كنيسة الضريح وستة آخرون في كنيسة الميلاد في بيت لحم[١٢٧٣]، وقد استطاع الدوق فيليب البرجندي حماية الرهبان من تعسف وبطش السلاطين المماليك، وكان في كل عام يرسل للدير ١٠٠٠ دوكة ذهبية حتى وفاته ثم أوصى بأن يستمر خليفته في معاونة رهبان الدير، ثم حصل الرهبان على ٦٠٠٠ دوكة فيما بعد وأعادوا بناء أجزاء في الدير مما أثار

([1270]) Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff , pp. 192 - 193 , Nicolo, A voyage Beyond the seas , pp , 31 -34.

([1271]) Souriano, Treaties on the holy Land, p. 123.

([1272]) Casola , Pilgrimage to Jerusalem, p. 254.

([1273]) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places , p. 75. Casola , Pilgrimage to Jerusalem, p. 254

ضغينة وغضب العامة وقاموا بتدمير جزء منه مثل غرف الرهبان والصوامع وكان سبب التدمير هو اعتقادهم بأن تحت الكنيسة قبر النبي داود، وعندما عرف ملك أسبانيا بذلك أرسل إلى السلطان يهدده بتعذيب مسلمي الأندلس فأدى ذلك إلى توقف الهدم والتدمير[١٢٧٤].

قدم ملوك أوربا من فرنسا وصقلية والأندلس مبالغ مالية كبيرة ونفقات وهدايا للسلطان المملوكي لشراء الضريح المقدس وكنيسة الضريح وكنيسة دير جبل صهيون وكنيسة الروح القدس ومسكن النساك ومأوى الرهبان الفرنسيسكان في بيت لحم، كما بنى ملك فرنسا مسكناً للرهبان في جبل صهيون وقدمت ملكة صقلية ١٠٠ دوكة ذهبية هبه للدير[١٢٧٥].

نفهم من ذلك أن الرهبان الفرنسيسكان في دير جبل صهيون كان لهم وضع سياسي وديني مختلف عن بقية الطوائف، ولكنهم أحياناً كانوا يتعرضون للإساءة في حالات معينة فمثلاً، بعد أحداث غزو الملك القبرصي بطرس الأول لوزجنان peter 1 (٧٦١-٧٧١هـ) (١٣٥٩ – ١٣٦٩ م) للإسكندرية عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥م اشتدت حالة الفوضى السياسية والاقتصادية في البلاد، واتبعت السلطات المملوكية أساليب الانتقام من الجاليات الأجنبية المقيمة، وكذلك الرهبان وخاصة الرهبان الفرنسيسكان في دير جبل صهيون، فألقى القبض عليهم جميعاً في سجون القاهرة ودمنهور لمدة ثلاث سنوات بالإضافة إلى حرمانهم من حقوقهم وامتيازا تهم التي كانوا يتمتعون بها[١٢٧٦].

([1274]) Souriano , Treaties on the holy Land , p. 124.

([1275]) Ibid,op.cit, p. 125.

([١٢٧٦]) المقريزي، السلوك، ج٣ ق١، ص ١٠٧ ؛ النويري السكندري، الإلمام، ج٢، ص ١٥٦ - ١٥٧.

- حملة بطرس: قام الملك القبرصي بمساعدة ملوك أوربا بغزو الإسكندرية كمشروع صليبي وبالفعل أبحرت الحملة ووصلت الإسكندرية عند الغروب في يوم ١٦محرم ٧٦٧هـ/٩أكتوبر ١٣٦٥م وظن أهل الإسكندرية أنها سفن تجارية، وأستغل بطرس الأول وقت صلاة الجمعة وضعف أسوار المدينة وسوء الأحوال في الدولة عامة فأمر قواه بالنزول وهاجموا المدينة واستولوا عليها لمدة ثلاثة أيام

ذكر الرحالة الراهب جان جيرمان jean germane الذي كان معاصرا للسلطان المملوكي جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ) (١٤٣٨-١٤٥٣م) سوء معاملة الرهبان الفرنسيسكان ففي عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥١م تعرض الرهبان بدير صهيون لانتقام السلطات المملوكية والقبض عليهم والتشهير بهم في شوارع القدس وسجنهم في القاهرة[١٢٧٧]، ثم القيام بحملات تفتيش على الكنائس والأديرة وكان ذلك مجرد إجراء انتقامي قام به السلطان المملوكي جقمق بسبب تعرض السواحل والثغور المصرية والشامية للغارات التخريبية من قبل القراصنة الأوربيين فأمر بهدم ما استجد في دير صهيون وانتزاع قبر النبي داود[١٢٧٨]، وفي عهد السلطان الأشرف إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ) (١٤٥٣-١٤٦١م) كانت هناك كنيسة للنصارى مجاورة لكنيسة القيامة ولها قبة عالية البناء وكان النصارى يقرءون كتابهم بصوت مرتفع ويصل صوتهم إلى مسجد قبة الصخرة، فانزعج المسلمون وعندما حدثت زلزلة عام ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨م، وهدمت القبة فتوجه النصارى بالمال لنائب السلطنة وقاضي القدس فأذن لهم بإعادة بنائها، ولكن القاضي شمس الدين هدم ما استجده النصارى من بناء في دير صهيون[١٢٧٩].

وشهدت المدينة أفظع مذبحة بالإضافة إلى عمليات السلب والنهب ولم يفرق الغزاة بين مسيحى أو مسلم أو يهودى وخربت المساجد والمقابر و الكنائس وسرقت التحف والمحلات والأسواق وكذلك فنادق الأجانب، وعندما وصلت الأخبار إلى القاهرة وكان السلطان هو الأشرف شعبان صغير السن وكانت السلطة في يد الأمير يلبغا الخاصكي وبدأ يستعد بحملة عسكرية للإسكندرية وعندما علم بطرس بذلك أمر قواده بالرحيل بعد حوالى اسبوع من الأعمال الوحشية وأبحر الصليبيون يوم ١٦أكتوبر وحملوا معهم ١٥٠٠ أسير وبيعوا في أسواق أوربا. أنظر، النويري السكندري، الإلمام، ج٢،ص ١٠٨وما بعدها، المقريزي، السلوك،ج٣ق١، ص ٤١٣-٤٣٢ Hill,Ahistory of Cypurs,vol 2 ,p.332, Atiya ,op.cit,p.354.

([1277]) Jean German , Les Discours de Voyage de Oultermer par Jean German ,R.O.L , tome 3 , Paris , 1895 , pp. 325 -326.

([١٢٧٨]) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص ٩٨ ؛ أنظر أيضاً، محمد كرد، خطط الشام، ج ٦، ص ١٣ -١٤.

([١٢٧٩]) الحنبلي، نفسه، ص ٢٦٣ -٢٦٤.

تمتع الرهبان في دير صهيون بعناية واهتمام السلاطين المماليك خاصة في عهد السلطان الأشرف قايتباي ففي عام ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م أثناء رئاسة الراهب فرنسيس روسو البياتشنزى Friar Francis Rosso of Piacenza (١٤٦٧-١٤٧٢م) لديرجبل صهيون حدثت فوضى وتمرد في القاهرة لتولي السلطة وهرب الأمير قايتباي ومعه صديقه الأمير يشبك الفقيه وكان كلاهما مقدم ألف وأمر السلطان المملوكي الجديد بتحديد إقامتهما في بيت المقدس فقط ولم يسمح لهما بالتحرك خارجها، وكانا ممنوعين من ركوب الخيل، أو اتخاذ الخدم، أو مغادرة المدينة، ولم يكونا قادرين علي زيارة أحد، وفي ذلك الوقت قابلهما رئيس الدير وقدم لهما الطعام والشراب والمال، وكان الرهبان يستقبلون قايتباي لا بوصفه سجينا منفيا بل اعتبروه سيدا نبيلا بالإضافة إلي أنه كان يأتي للدير بشغف كبير لأنه كان يحب الخضروات وطعام الرهبان، وبعد تولي الأشرف قايتباي السلطة جاء رئيس الرهبان إلى القاهرة وقابل السلطان ورحب به كثيراً وتذكر ما فعله معه وقت الشدة وأعطاه صك الأمان والحماية ومن وقتها لم يؤذ أحد رهبان دير صهيون[١٢٨٠]، وهكذا أصبح رهبان دير صهيون محل الرعاية والاهتمام والأمان والحماية ورفع الظلم عنهم والاستجابة لمطالبهم بعمارة الأديرة والكنائس وترميمها حيث استطاعوا الحصول على عدة مراسيم سلطانية تعالج شئون دينهم وحياتهم وبذلك شهد عهد قايتباي سماحة عظيمة للرهبان الفرنسيسكان وكانوا على الدوام محلاً لرعاية السلطان والدوادار الكبير الأمير يشبك[١٢٨١]، ومنذ ذلك الحين فصاعداً وخلال عهد قايتباى كان للرهبان في بيت المقدس الأهمية في البلاط المملوكى ونعموا بالحماية و الرعاية.

أثبتت الوقائع والأحداث فيما بعد صحة تلك المراسيم الخاصة بالأمان والحماية ففي عام ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥م حدث أن قبض حاكم بيت المقدس على راهب

([1280]) Souriano , Treaties on the holy Land , p. 127 , See Also , Wolff , How Many Miles , pp.32-33.

- هذا النص لا يمكن التأكد من صحته في المصادر التاريخية الإسلامية المعاصرة حيث لم تعثر الباحثة علي نص مشابه.

([1281]) Schefer , Le Voyage de La Saincte de Jerusalem , p. xx.

Open Kandil.com

دير صهيون ويدعى الراهب جاكومو ماجنا فاكبا Jacomo mangna vaccba، والذي صار رئيس الدير فيما بعد (٨٨٠-٨٨٢هـ) (١٤٧٥-١٤٧٧م) ووضعه في السجن وأجبره على دفع مبلغ ١٠٠ دوكة ذهبية، ثم سافر ذلك الراهب إلى القاهرة لعرض شكواه على السلطان قايتباي الذي أرسل على الفور إلى يشبك أمراً بالقبض على حاكم بيت المقدس وإحضاره إلي القاهرة مقيدا بالأغلال، وعندما تأكد من احتياله واستغلاله لمنصبه ضربه بقسوة أمام الرهبان، وخلع من منصبه، ووضع في السجن خمس سنوات، ولم يجرؤ أحد بعدها على إساءة وإيذاء الرهبان الفرنسيسكان في جبل صهيون[١٢٨٢].

لكن ذلك الوضع لم يكن ليستمر طويلاً فقد كان الرهبان رهينة في أيدي السلطان المملوكي استخدمهم كوسيلة للضغط على الدول الأجنبية عندما تسوء العلاقات معهم، ففى عام ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م شن القراصنة غارة على ميناء الإسكندرية وأسروا بعض كبار التجار في الميناء، منهم تجار السلطان قايتباي، وهم ابن عليبة، وابن يعقوب، وعلي الكيزاني وغيرهم، وتوجهوا بهم إلي بلاد الفرنج، واضطربت أحوال الإسكندرية وكادت أن تخرب، فأمر السلطان بالقبض على التجار الفرنج، ومصادرة أموالهم ومتاجرهم، وطلب منهم مكاتبة ملوك أوربا للإفراج عن التجار المسلمين[١٢٨٣]، غير أن ذلك لم يؤدِ إلى حل المشكلة مما دفع بالسلطان إلى زيادة الضغوط، فقبض على جميع الرهبان الفرنسيسكان المقيمين بدير صهيون وبيت لحم وكنيسة القيامة وأرسلهم إلى القاهرة[١٢٨٤]، فأدي ذلك الإجراء إلى إطلاق سراح التجار الأسرى المسلمين وأنتهي الأمر وعاد الرهبان إلى الدير، وذلك الأجراء لم يكن دافعاً للانتقام والتعصب أو مجرد شعور بالكراهية والرغبة في إيذاء المسيحيين بل أراد بذلك الضغط على أوربا لوقف عمليات القرصنة والغارات على السواحل

)[1282] (Souriano , Treaties on the holy Land , p. 127.

(١٢٨٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١١٤.

(١٢٨٤) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص ٣١٧ ؛

Schefer , Le Voyage de La Saincte de Jerusalem , p. xvii.

والموانئ المصرية والشامية، والدليل الأكثر على صحة تلك الحقيقة أنه في عام ٨٨٥ هـ / ١٤٨٥ م تقدم الرهبان الفرنسيسكان للسلطان بطلب ليأذن لهم فيه بعمارة سقف كنيسة المهد في بيت لحم الذي أوشك على السقوط بسبب الأمطار الشديدة فسارع السلطان بالموافقة على ذلك الطلب[١٢٨٥].

مضت سنوات والرهبان يعيشون في سلام حتى بدأت أخبار الغزو الأسباني للممالك الإسلامية في غرناطة، فانقلب الوضع على الرهبان إلى الانتقام والإيذاء، ففي عام ٨٩٢ هـ / ١٤٩٧ م وصلت رسالة من صاحب غرناطة يستغيث بالسلطان الغوري ويطلب منه المدد والعون فطلب السلطان الغوري من قسيس كنيسة القيامة بالقدس أن يكتب إلى ملك قشتالة وأراجون مهدداً إياه وبقية ملوك أوربا بالقبض على الرهبان وغلق الكنيسة[١٢٨٦].

ثم استغل الرهبان الهدوء السياسي في عام ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م وأقاموا كنيسة محدثة بالقرب من دير صهيون فوق المكان الذي يزعمون أنه مقام السيدة مريم وعاشت فيه ١٤ عاماً بعد صعود المسيح إلى حين وفاتها وذلك بمساعدة نائب القدس الأمير دقماق الأشرفي بعد أن دفعوا له الأموال[١٢٨٧]، كما تعرض دير جبل صهيون لاعتداء وثورة العربان والمسلمين فقام الرهبان الفرنسيسكان بعمل تحصينات وتركيب بوابات حديدية وأبواب مغلقة بالسلاسل وأمامها كلاب شرسة متوحشة تهاجم الغرباء وكل من يحاول اقتحام الدير أو الكنيسة ليلاً أو نهاراً[١٢٨٨]، ولكن تمت إزالتها بعد ذلك عام ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م بمرسوم رسمي لأنه لا يمكن بناء كنائس محدثة في الإسلام[١٢٨٩]، ثم تطورت الأحداث واستخدم السلطان الغوري الرهبان مرة أخرى سفراء إلى ملوك أوربا بسبب القراصنة البرتغال في المحيط الهندي وتعرضهم للسفن

([1285]) Fabri ,the wandering ,vol 1part2,pp 600 -603,Souriano,Treaties on the holy Land, p.134.

([١٢٨٦]) ابن إياس،بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٤٤ -٢٤٥.

([1287]) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 108.

([1288]) Fabri , the wandering, vol 1part 2, p. 339.

([١٢٨٩]) الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص ٤٣٥ -٣٤٩ ؛ محمد كرد، خطط الشام، ج ٦، ص ١١٤.

المملوكية المحملة بالبهار فأرسل الأخ الراهب مورو ديزان برناردو Fra maura disan Bernardino ومعه راهبان آخران لإبلاغ دوق البندقية والبابا وملوك أوربا بوقف القراصنة البرتغال وإلا سيقوم بقتل جميع الأجانب المقيمين في بلاده تجاراً ورهباناً وغلق كنيسة القيامة. [١٢٩٠] وفي عام ١٥٠٠ م تعرض الرهبان للسجن في القاهرة ومنهم الرحالة الراهب فرانسيسكو سوريانو Francisco Souriano. [١٢٩١]

- **مقدسات ومزارات مسيحية في بيت لحم:**

كنيسة الميلاد (كنيسة بيت لحم - المهد) حيث ولد السيد المسيح، وقد بنتها الإمبراطورة هيلانة وطور بناءها بعد ذلك الإمبراطور جستنيان، وفي عصر الحملات الصليبية قام الملك الصليبي جودفري (١٠٩٩-١١٠٠م) وخلفاؤه من بعده بتحسينها وتطويرها [١٢٩٢] وهي كنيسة رائعة الجمال ومحصنة بأبراج بشكل ممتاز، وتبدو كأنها قلعة وهي مسقوفة بالرصاص ومزينة بأعمال الفسيفساء وأحجار اليشب والرخام والذهب، وبها أكثر من ٥٠ عمود من الرخام النفيس وليست مقنطرة بل مسقوفة بأفضل أنواع الخشب وجذوع وعوارض من خشب الأرز وجدران الكنيسة مذهبة [١٢٩٣]، وقرب السدة في الكنيسة على الجانب الأيمن وعلى بعد ١٦ خطوة لأسفل وجد مذبحان أحدهما في مكان ميلاد المسيح، والآخر في المكان الذي وضع فيه الطفل يسوع وسمى المزود أو معلف الحيوانات الذى يوضع فيها الطعام للحيوانات، وما زالت به حلقات حديدية ولكن المزود الأصلي نقلته القديسة هيلانة إلى

([1290]) Schefer , Le Voyage de Jean Thanaud , pp. xlvii , xlix.

([١٢٩١]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٠١ -١٠٢ ؛

Ibid,p.90, See Also,Peters,Jerusalem The Holy City , , p.3,Patterson, Sacred Sites, p.68.

([1292]) Baumgarten , The Travel of Martin Baumgarten , p. 460 , Luodolph, Description of the Holy land , p. 94 , Wright , Early Travelers , p. 162 , Schefer , Le Voyage de Jean Thanaud.

([١٢٩٣]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٥٣ -١٥٤ ؛ الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص ٦٥.

openkandil.com

القسطنطينية ووضعت بدلاً منه مزوداً رخامياً مطعماً بالذهب والفضة والأحجار الكريمة [١٢٩٤]، وخارج الكنيسة وجدت كنائس أخرى صغيرة مثل كنيسة القديس جيروم الذي ظل ٥٥ سنة و ٦ أشهر يترجم الكتاب المقدس وفيها مقبرته التي دفن فيها ثم نقلت عظامه إلى روما، وعلى الناحية اليسرى وجد العديد من الكهوف المدفون فيها العديد من الأبرياء والشهداء[١٢٩٥]، كما وجدت كذلك ثلاث كنائس أخرى هامة، الأولى في مكان ظهور الملاك ليوسف النجار ليرشده إلى الطريق إلى مصر، والثانية في مكان ظهور الملاك الرب للرعاة، والثالثة كانت للقديس نيقولاس ولكن المسلمين بنوا عليها مسجد[١٢٩٦] وعلى بعد رمية حجر من كنيسة الميلاد تقع كنيسة وقبرا كلاً من القدسة بولا St.Paula والقديسة ايستوكسوم St.Eustochium[١٢٩٧].

([1294]) Fabri , the wandering , vol 1 part 2 p. 559,Wright,Early Travelers, p. 163 , Langnon , Le Saint Voyage , p. 32.

([١٢٩٥]) بيرو طافور، رحلة طافور، ص ٤٧ ؛

Poloner, Description of the Holy land , p. 20 , Guide book ,vol 6 , p. 25 , .Luodolph, op.cit , p. 95 ,Langnon ,Le Saint Voyage, p. 32

- القديس جيروم: يعرف باسم صفرونيوس هيرونموس، حضر لزيارة الأراضى المقدسة في الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادى وولد في إقليم دلماشيا ثم توجه إلى روما لتلقى العلم والدراسة حيث تعلم النحو والشعر والفلسفة ثم تدرب على الشئون القضائية ثم توجه إلى بلاد الشام وتعلم اللغة العبرية واليونانية ونفذ رغبة البابا في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللاتينية وعرفت هذه النسخة باسم فولجاتا ثم أقام في بيت لحم من اجل التعبد وأصابه مرض خطير وتوفى سنة ٤٢٠م ويحتفل المسيحيون بعيد القديس جيروم في ٣٠ سبتمبر. انظر، يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص ٩١-٩٢، حاشية (٦).

([1296]) Luodolph ,op.cit,p.95,Guide book,op.cit,pp.25 -26 ,Frescobaldi, A Visit to the Holy Places, p.69.

([١٢٩٧]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٥٥-١٥٦.

- القدسة بولا والقديسة إيستوكسوم: ولدت القديسة بولا في روما عام ٣٤٧م أما القديسة إيستوكسوم فقد ولدت عام ٣٦٨م في روما أيضاً، وقد تزوجت بولا من السيناتور توكسوتيوس ثم أصبحت أرملة في سن الثلاثة والثلاثين وفى عام ٣٨٥م قررت الاستقرار في بيت لحم بجوار القديس جيروم ورافقتها تلك الرحلة إيستوكسوم وتعلمتا اللغة العبرية واليونانية واحتلت بولا مركزا مرموقاً من بين النساء اللاتى أحطن القديس جيروم وأنشأت نزلاً للنساء وآخر للرجال وتوفيت في

وقدحدث في تلك الكنيسة (كنيسة بيت لحم) أسطورة عجيبة تناولها العديد من الرحالة في مختلف السنوات، فذكر الرحالة أنه في يوم ما شاهد السلطان المملوكي (سيف الدين قلاوون) (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م) زخارف الكنيسة وجمالها والأعمدة الفضية واللوحات فيها فأمر بخلعها جميعاً لبناء قصره في القاهرة وعندما بدأ العمال في الحفر وخلع الأعمدة ظهر ثعبان كبير من الجدار الصلب فضرب اللوحات فشقها وأحدث فيها علامات ثم اختفي الثعبان فاندهش السلطان مما حدث وتخلى عن الفكرة تماماً[١٢٩٨]،كما ذكر الراهب سوريانو بعض النوادر والعجائب عن تلك الكنيسة فقال إنه ذات يوم أتى حاكم أورشليم وغزة والناظر إلى كهف الميلاد لأداء الصلاة وظل ينظر إلى المزود ويبكي ويقبل الأرض، كما أن ذلك المكان تقدسه النساء المسلمات حيث يضعن الخبز ويرسلنه لكل أنحاء البلاد وجزء منه تأكله النساء كي لا يشعرن بالآلام عند الولادة وعندما تحس المرأة بنقص اللبن في ثديها تقوم بمزج التراب الأبيض من المزود بالماء فيزيد عندها اللبن[١٢٩٩].

- **مقدسات ومزارات مدينة الخليل وما حولها:**

يوجد في حبرون (مدينة الخليل) كهف رائع سمى بالكهف المزدوج وقد تحول إلى مسجد للمسلمين، ولكن يزوره المسيحيون واليهود أيضًا حيث دفن فيه الأنبياء (آدم – إبراهيم – إسحق – يعقوب – وزوجاتهم)، وسمى كذلك باسم كهف المكفلية، وقد بنى المسلمون بجانبه سور فيه نافذة يقف عندها النصارى واليهود للصلاة والتبرك[١٣٠٠].

بيت لحم عام ٤٠٤م ويحتفل بعيدها في ٢٦ يناير، احتلت إيستوكسوم مكانها في مرافقة الأرامل وتوفيت عام ٤١٩م ويحتف بعيدها في ٢٨ سبتمير. انظر، محمد مؤنس، الرحالة الأوربيون، ص ٣٠-٣١.

([١٢٩٨]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٥٤ -١٥٥

Poloner, Description of the Holy Land, p. 19 , Baumgarten, The Travel of Martin Baumgarten, p. 460.

)[1299] (Souriano, Treaties on the holy Land , p. 136.

([١٣٠٠]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ١٥٣ ؛

وهنا أيضاً أسفل الكهف و المسجد مأوى أو مكان للناس والفقراء والضعفاء وهو مكان جميل ورائع به مطبخ ومخبز وفيه التجهيزات اللازمة للحجاج المسلمين، وكان لذلك المكان دخل سنوي حوالي ١٢٤ ألف دوقة سنوياً ويصنع فيه ١١ ألف رغيف خبز يومياً ويقدم لمن يستحقه ويطلبه وليس للحجاج فقط ولا يفرقون بين الحجاج من أي جنس أو ملة أو طائفة، ويقدم المسلمون الصدقات والمنح المالية وقدرت بحوالي ٢٠٠ ألف دوكة يومياً صدقات للفقراء والمساكين للمساعدة [١٣٠١]، وقد اعتاد المسلمون إعداد موائد الطعام للحجاج القادمين إلى قبر الخليل المسمى المكفلية، ويقدمون لليهود والمسافرون والزوار الخبز والزيتون، وهناك طواحين كثيرة تديرها البغال والثيران لطحن الدقيق وخادمات يخبزن طول اليوم ويقدم للزائر رغيف خبز وطبقاً من العدس المطبوخ بالزيت كل يوم[١٣٠٢].

توجد ثلاثة مذابح منحوتة من صخرة صلبة في مدينة الناصرة كنيسة مقدسة حيث ظهر الملاك للسيدة العذراء وبشرها بميلاد السيد المسيح وفيها. [١٣٠٣]، ووجد خلف الكنيسة نبع ماء اعتادت مريم المباركة أن تغتسل فيه ولكن المسلمين كما يقول لودولف الذي زار القدس بين عامي ١٣٣٦– ١٣٤١م قد حاولوا تدنيس الكنيسة وذلك بإلقاء القاذورات فيها[١٣٠٤].

Harff, The Pilgrimage of Arnold Von Harff , p. 191 , Casola , Pilgrimage to Jerusalem, p. 262 , Wright , Early Travelers, p. 161.

([1301]) Fabri , the wandering,vol 2 part2 , pp. 417 -418 , Peters , op.cit , p. 376.

([١٣٠٢]) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٨٦.

([١٣٠٣]) بورخارد، وصف الأراضي المقدسة، ص ٩٣.

([1304]) Luodolph , Description of the Holy Land , p. 125.

– ما ذكره الرحالة عن تعدى المسلمين على المقدسات المسيحية ليس صحيحا لأن سلاطين المماليك لم يسمحوا بذلك على الإطلاق وإذا حدث فكان في أوقات استثنائية ولم يكن الغرض منه التعصب الدينى بل كان ثورة من بعض العامة أو انتقام لأحد المسلمين أو بسبب بعض الخلافات الثانوية،وسرعان ما كان يصدر مرسوم من السلطان المملوكى بوضع حداً لذلك أو بتدخل قاضى بيت المقدس وبذلك عاش الجميع في أمن وحرية في ظل الحكم المملوكى.

كما كان نهر الأردن من الأماكن الهامة والأساسية لزيارة الحجاج، والذي أطلق عليه نهر الشريعة حيث تم تعميد السيد المسيح هناك، ووجد كذلك كنيسة القديس يوحنا المعمدان حيث وجد بها يد القديس يوحنا بدون الأصابع وتولى إدارتها الرهبان اليونانيون ويقوم المسيحيون هناك بالاغتسال والاستحمام في النهر قدوة بالمسيح[١٣٠٥].

يوجد جبل الأربعين في مدينة أريحا والمسمى جبل كوارنيتا Quarentana وسمى كذلك جبل القرنطل حيث صام عليه المسيح أربعين يوماً وعليه كنيستان مقدستان إحداهما في المكان الذي صام فيه السيد المسيح والأخرى في مكان ظهور الشيطان للسيد المسيح ومحاولته إغواءه [١٣٠٦].

توجد كنيسة المخلص في بيروت والذي كان يديرها الرهبان الفرنسيسكان وعلى بعد ميل شرق المدينة توجد كنيسة القديس جورج الذي قتل التنين علي حد قول الأسطورة وكذلك كنيسة القديسة بربارة على الشاطئ قرب ميناء بيروت، واعتمدت كنيسة المخلص على صدقات التجار القادمين إلى بيروت وكانت تلك الكنيسة تعتبر ملجأ ومأوى للأسرى والعبيد المسيحيين الذين يهربون من المسلمين للبحث عن حريتهم حيث يقوم الرهبان بحمايتهم وعودتهم إلى المسيحية وإرسالهم إلى ديارهم وقيل أيضاً إن في ذلك المكان يمكن رؤية دماء السيد المسيح[١٣٠٧]، وفي مدينة طرابلس توجد كنيسة القديسة مارينا كان يديرها الرهبان الموارنة وبها جسد تلك القديسة[١٣٠٨]، وفي بيتاني مقبرة إلعاذر أخو مارتا ومريم المجدلية والذي رفعه المسيح من الموت بأربعة أيام[١٣٠٩].

([1305]) Wright , Early Travelers, p. 179 , Baumgarten The Travel of Martin Baumgarten, , p. 92 , Souriano , Treaties on the holy Land , p. 143 ,Langnon , Le Saint Voyage , pp.35 -36 , Guide book , vol 6,p. 29 , Fabri , the wandering, vol 2 part 1, pp. 33 -35.

([1306]) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places, p. 79 ,Margery Kemp , The book of Margery Kemp, chapter 29, Langnon , op.cit , p. 38.

([1307]) Souriano, Treaties on the holy Land , pp. 166 -169.

([1308]) Ibid , p. 178.

([1309]) Casola, Pilgrimage to Jerusalem, p.78,Wright ,op.cit, p. 287,Margery

- **المقدسات والمزارات اليهودية في الشام:**

أما فيما يختص بمقدسات ومزارات اليهود في بلاد الشام فهي محدودة إلى حد ما نظراً لقلة المادة العلمية في ذلك الشأن وقد حددها أحد الرحالة اليهود الذي يدعى اسحق بن يوسف بن شلو الذي زار الشام في عام٧٤٥ هـ/ ١٣٣٤ م باختصار منها:

الحائط الغربي للمسجد الأقصى أمام مسجد عمر بن الخطاب وتسمى بوابة الرحمة ويلجأ إليه اليهود لتأدية الصلاة والبكاء عنده مثلما كان يفعل الرابي بنيامين، وبرج داود بجوار بوابة داود وهو بناء قديم اعتاد اليهود أن يقيموا حوله والآن – وقت زيارة الرحالة اليهودي إسحق بن شلو عام ٧٣٥هـ/١٣٣٤م - هو عبارة عن حصن للحماية، ثم قصر سليمان وأصبح مكانه سوق كبير، مقبرة القديسة هيلدا على قمة جبل الزيتون، ضريح داود حيث دفن فيه داود وسليمان وملوك اليهود على جبل صهيون [١٣١٠]، وهناك كهف المكفلية في وسط مدينة بيت المقدس، وقد بنى عليه المسلمون مسجداً وحائطاً وبه نافذة صغيرة يصلي عندها اليهود ويلقون النقود عند قبر إبراهيم ويحيط بالمغارة أو الكهف حقول وبساتين وقفاً للكهف حيث يقوم المسلمون في كل يوم بتوزيع ١٣ ألف رغيف على الفقراء على شرف الأنبياء إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وكذلك اللحم والخضراوات ويصل دخله في السنة إلى ١٥٠٠ دوكة ذهبية[١٣١١].

تلك المقبرة قد اشترها سيدنا إبراهيم الخليل لدفن السيدة سارة، ثم توفي الخليل ودفن بحانبها من جهة الغرب، ثم توفيت رفقة زوجة النبي إسحاق فدفنت فيها بجوار سارة من الجهة القبلية، ثم إسحاق بحذاء زوجته من جهة الغرب، ثم يعقوب عند باب المغارة، وقد أغلقت المغارة وكل من جاء إليها يطوف ولا يصلي حتي جاء الروم وفتحوا لها باب وبنوا فيه كنيسة ثم هدم المسلمون الكنيسة.[١٣١٢].

---

kemp,op.cit ,chapter,30.

([1310]) Adler , Jewish Travelers , pp. 131 -132.

([1311]) Adler, Ibid , pp.185 -186 .

([١٣١٢]) الحنبلي، الأنس الجليل، ج١، ص ٤٢ -٤٣.

وعندما كان المرء يدخل ويفتح باباً حديداً يرتقي عبره إلي قبور الأنبياء فينحدر منه إلى مغارة خاوية وبيده شمعة يهتدي بها وسط الظلام ومنها إلى مغارة ثانية خالية وثالثة حيث يوجد ستة أضرحة متقابلة وفي المغارة عدد من القناديل مشتعلة ليلاً و نهاراًوعدد من القوارير مملوءة بعظام الموتى ولقد جرت العادة أن يأتي الحجاج بعظام موتاهم إلى ذلك المكان [١٣١٣].

ومن المزارات المقدسة أيضًا لدي اليهود قبر السيدة راحيل والدة سيدنا يوسف في الطريق بين القدس والخليل وكان المسلمون يقومون بزيارته وأنشئوا عليه قبة وأقاموا بجواره عدة أعمدة[١٣١٤]، بالإضافة إلى جبل جرزيم ومعناه جبل الفرائض أو البركات وقد بنى عليه يوشع النبي هيكلا صغيراً وإليه كان يحج اليهود السامرة حيث يذبحون حمامة ذهبية اللون قرباناً على المذبح وهم لا يحجون إلى القدس لأن جبل جرزيم يحتل عندهم قدسية بيت المقدس[١٣١٥] بالإضافة إلى قبور وكهوف للقديسين والأنبياء وملوك اليهود القدامى وكذلك أبناء الرسل[١٣١٦].

يتضح مما سبق أن الطوائف المسيحية قد تعددت في مصر والشام، ولكن أكثرهم كان موجودا في الشام عن مصر حيث انقسم فيها المسيحيون إلى طائفتين فقط هما، الروم الأرثوذكس وكانوا يسمون الملكانيين، والأخرى هي طائفة اليعاقبة، كما لم يهتم الرحالة كثيراً بالطوائف المسيحية في مصر بقدر اهتمامهم بهم في بيت المقدس التى وجد فيها عشر طوائف مسيحية، و لاحظنا أيضًا أن هناك بعض الطوائف المسيحية كبيرة العدد التي كان لها قوة وسلطة حقيقية في البلاد، ولعبت دوراً سياسياً ودينياً واضحاً مثل الفرنسيسكان والأحباش، أما الطوائف الأخرى فلم يكن لها مثل ذلك

([١٣١٣]) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص ٢٥٨.

([1314]) Adler,Jewish Travellers , pp. 188 , 234.

([١٣١٥]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٩٤ ؛ الهروي، الإشارات، ص ٣٠، العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص ١٢٤ ؛

Adler,op,cit, pp. 188.234 , p.171, Souriano,Treaties on the holy Land, p.152 , Wright,Early Travelers, p. 181.

([١٣١٦]) عارف العارف، تاريخ القدس، ص ٢٣٨.

النفوذ والقوة الثابتة،كما كان الرهبان بمثابة رهينة لدى السلطات المملوكية فتعرضوا للحبس والاعتقال عندما تسوء العلاقات الدولية، إلا أن الرهبان الفرنسيسكان والأحباش خاصة قد لعبا دوراً سياسياً واضحاً في تحسين العلاقات الدولية بين مصر وأوربا والحبشة.

كما لاحظنا في نهاية هذا الفصل عدة أمور، منها زيادة اهتمام الرحالة الأوربيين بالأماكن والمواقع المقدسة وفقاً لما ذكر في الكتب المقدسة، كما قاموا بوصف تلك الأماكن وصفاً دقيقاً وذلك بذكر الخطوات والمقاييس بالذراع والقدم واستخدام مقاييس متنوعة مثل الذراع الألماني والإيطالي وغيره، لدرجة أن من يقرأ ذلك الوصف يستطيع أن يقوم بتوزيع تلك الأماكن المقدسة على خريطة، كما أوضحت النصوص الطابع الديني الذي غلب على معظم النصوص الأدبية للرحالة وسيطرت على عقولهم، ودليلنا علي ذلك أن معظم هؤلاء الرحالة مهما اختلفت جنسياتهم وأهدافهم ودوافعهم فقد حرصوا بشدة على زيارة الأماكن المقدسة وذكرها في مؤلفاتهم سواء بالشرح والتفصيل أو الاختصار والإجمال، كما أبرز ذلك اعتقادهم بالخرافات والمعجزات وكرامات القديسين والاعتماد على أساطير قديمة، كما لاحظنا أن عدد الرحالة اليهود أقل بكثير من الرحالة المسيحيين ولذلك وجدنا وصفاً متعدداً ومثيراً للأماكن والمزارات المسيحية بدقة، أما المزارت والمقدسات اليهودية فكانت قلية الذكر وتناولها ثلاث رحالة يهود فقط، أما ذكر المزارات الإسلامية فقد كانت محدودة نظراً للسياسة المملوكية في ذلك الوقت فلم يكن يسمح للأجانب بالتجول بحرية تامة في الديار المصرية والشامية نتيجة للعلاقات العدائية بين الدولة المملوكية والدول الأجنبية بسبب عمليات القرصنة في البحر المتوسط بالإضافة إلى التعصب الديني الذي أظهره بعض المسلمين تجاه المسيحيين في أوقات معينة نتيجة لحدوث فتن أو خلافات بين الطرفين.

بدأ معظم الرحالة والحجاج بزيارة بلاد الشام وخاصة بيت المقدس وما حولها والاهتمام بتسجيل ما شاهدوه من أماكن ومزارات مقدسة فيها، نظراً لأنها مولد السيدة العذراء والمسيح، وفيها الأماكن التي عاش فيها سيدنا داود وسليمان وكثير من الأنبياء

والرسل والقديسين ولم يقتص الأمر على ذلك بل كانوا يهتمون بأماكن مقدسة أخرى مثل نهر الأردن وعين سلوان وحديقة الجسمانية والكهف المزدوج الذى دفن فيه سيدنا إبراهيم وزوجته السيدة سارة والنبي إسحاق وزوجته رفقة والنبي يعقوب، ثم كانوا يتجهون إلى مصر حيث كان يجذ بهم لزيارتها ما جاء عنها في نصوص وآيات التوراة والإنجيل، وما بها من كنائس قد شيدت منذ فجر تاريخ المسيحية، وما حظي به كذلك دير سانت كاترين في سيناء من شهرة عالمية منذ القدم، فقد كانت سيناء معبر المسافرين بين بلاد الشام ومصر، ولذلك كان لابد عليهم زيارة جبل سيناء والدير للحصول على الغفران والبركة.، كما تناولوا وصف الأماكن المقدسة في القاهرة وبابليون والفسطاط وخاصة المواقع التي تباركت بمجيء السيدة مريم العذراء والسيد المسيح عليهما السلام وهروبهما من الناصرة إلى مصر خوفاُ من هيرودس الحاكم الروماني وإقامتهما في مصر وخاصة في منطقة المطرية بالإضافة إلى الموضع الذى تعذبت وأعدمت فيه القديسة كاترين في الإسكندرية ثم حملتها الملائكة إلى جبل كاترين في سيناء، انتشرت الكنائس والمزارات المقدسة في القاهرة والفسطاط وبابليون، وقد التزم معظم الرحالة بزيارتها ووصفها، وقد تعرضت تلك المزارات للزيادة أو للنقصان وفقاً للظروف العامة وبعض الأحداث التي هدمت فيها بعض الكنائس من ناحية أو ما استجد من ناحية أخرى ولكننا لا نستطيع حصرها وعدها.
وهنا يجب أن نوضح أن ما حدث من اعتداءات وخلافات بين المسلمين وأهل الذمة لم يحدث إلا في أوقات نادرة ونتيجة ظروف معينة وخاصة عندما يتعدى أهل الذمة على الشروط والقيود العمرية التي وضعها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وخاصة الشرط الذى ينص على عدم بناء كنيسة جديدة أو بيعها أو عندما يتعرض المسلمون لعملية القرصنة من قبل بعض المسيحيين الأوربيين في البحر المتوسط وعندئذ تثور العامة تعصباً لدينهم، كما أن تلك الخلافات من الممكن أن تحث بين أفراد الطائفة أو الملة الواحدة. فيما عدا ذلك كانت العلاقات طيبة وودية بي الطرفين وعاش الجميع معاً في أمان وسلام.

الخاتمة

تعد الرحلة وسيلة من وسائل المعرفة في فترة العصور الوسطي تلك الفترة التى شهدت تغيرات وتحولات عديدة في نواحٍ مختلفة، وما زالت الرحلة وسيلة رئيسية للمعرفة الدقيقة والرؤية الشاملة، وعلي الرغم من وجود جوانب سلبية للرحلة مثل التجسس من أجل العدوان و التعرف علي جوانب القوة والضعف في الدولة للتمكن من شن الهجوم وفرض السيطرة العسكرية أو الاقتصادية، أو بغرض التخريب والتدمير، وما إلي ذلك..... فإن الإيجابيات المشرقة للرحلة قدمت خدمات قيمة للإنسانية.

انتهت هذه الدراسة بعدة نتائج منها، أن الارتحال إلي الأراضي المقدسة سواء في مصر أو بلاد الشام لم يتوقف علي الإطلاق، فقد ساعدت الحروب الصليبية الكثيرين من الأوربيين علي السفر إلي الشرق والتجول بحرية تامة وأعطت للأراضي المقدسة جاذبية وقدمت تسهيلات حقيقية للحجاج، فأصبح الحج إلى الأراضي المقدسة في فلسطين التي شهدت قصة حياة المسيح علي الأرض حركة اجتماعية وثقافية ذا مغزى ديني وعاطفي أيضا، ففي القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي وبعد تحرير عكا وتطور النقل البحري الذى تولته البندقية طوال فترة العصور الوسطى، وتساهل المسلمون كثيرا بالسماح للحجاج بالقدوم إلي القدس، كما كانت الأديرة تقدم خدمات جليلة لهم وكان هناك ترتيبات بين السلطات الحاكمة والقائمين علي الأديرة بتوفير الراحة والأمان للحجاج، كما قامت السلطات الحاكمة بتوفير الحراسة الكاملة للمسافرين وخصصت لهم أدلاء ومترجمين.

كما تبين للباحثة أن الرحالة قد اهتموا بجوانب معينة وأهملوا جوانب أخري، فعلي سبيل المثال، أدرك الرحالة مراحل الازدهار والتطور السياسي والاقتصادي والمعماري في البلاد طوال العصر المملوكي، ثم تتبعوا مراحل الانهيار والضعف وخراب الكثير من المدن المصرية والشامية علي السواء، كما بينوا أسباب ذلك التدهور المتمثل في سوء الإدارة وفساد السلطة الحاكمة وارتفاع الأسعار وزيادة الضرائب علي السكان الوطنيين أو علي الوافدين الأجانب، مما دفع الكثير من الناس إلي هجرة أراضيهم وأعمالهم لعدم القدرة علي سداد الديون الواجبة عليهم فقل عدد

السفن الإسلامية والمسيحية في الموانىء والثغور وبالتالي قل عدد الوافدين إلي البلاد لممارسة الأنشطة المختلفة، كما اهتم جميع الرحالة بلا استثناء بوصف مفصل ومحدد للأماكن المقدسة وتقديم تفاصيل دقيقة عن بعد المسافات باستخدام مقاييس مختلفة مثل الفرسخ والميل و الذراع والخطوات، مما يوحي للقارئ بأنه أمام بناء معماري متكامل فيستطيع المرء رسمه ومشاهدته علي الورق رغم مرور السنوات وتغير سطح الأرض، فجاءت تلك الرحلات عبارة عن نصوص إرشادية ووصفية للأماكن المقدسة وما حولها، كما لاحظت أن هؤلاء الرحالة كانوا يقتبسون ما كتبه الآخرون، وحرصوا بشدة علي انتساب الأماكن المقدسة إلي الكتاب المقدس ومؤلفات القديسين والقصص الدينية الأسطورية بغض النظر عن صحتها أو عدم ذلك.

تحتل الفترة التي مثلها عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٣٢هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م) فترة هامة في تاريخ البشرية وفي تاريخ الرحلة الأوربية، فقد شهدت تلك الفترة عدة تطورات تاريخية هامة أهمها بهزيمة ملك فرنسا لويس التاسع في الحملة الصليبية السابعة علي مصر، ثم توقف الخطر المغولي والقضاء علي الوجود الصليبي في المنطقة العربية، فصارت القاهرة العاصمة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، كما كانت مقصد السفراء والرحالة والتجار والحجاج والجواسيس ومصدراً للحصول علي الثراء والشهرة، وهنا أكد جميع الرحالة علي مدى ثراء القاهرة وقوتها العسكرية وازدحامها المستمر طوال السنة بالناس من جميع أنحاء الأقطار القريبة والبعيدة وذلك من خلال ما عرضه الرحالة عن عدد السكان من المسلمين والمسيحيين واليهود في القاهرة والمدن المشهورة فقط، وإذا كانت القاهرة عاصمة الدولة المملوكية فقد اهتم بها المؤرخون العرب المعاصرون وذكروا خططها وشوارعها ومبانيها، فمن كتابات الرحالة أمكن التعرف علي خطط القدس وأهم الكنائس والأسواق واختصاصاتها وأصحابها وهذا أمور لم تذكرها المصادر المعاصرة. ومن خلال نصوص الرحالة أيضا أدركنا الاختلاف بين المجتمعات في العادات والتقاليد فكثيرا ما انتقد الرحالة عادات وتقاليد المجتمعات التي زاروها لأنهم ببساطة شديدة غرباء عن البلاد فكانوا يعتبرونها أمراً غير مألوف وشاذاً عن حياتهم ووفقا لنظامهم

القيمي والأخلاقي، ولذلك كان بعض الرحالة يبالغ في الحديث عن تلك العادات والتقاليد وينتقد بعض الممارسات الإسلامية، ولكنهم قد أفادونا في معرفة الفرق بين المجتمعات الداخلية، كما ركز بعضهم علي الحياة الخاصة باليهود والمسيحيين وعلاقتهم بالناس والسلطة، وأعطوا شرحا كاملاً للطوائف الدينية المختلفة، وفي الوقت الذي ذكر فيه الرحالة وجود عشر طوائف مسيحية في مصر والشام، ركزت المصادر الإسلامية المعاصرة علي الملكانية واليعاقبة فقط، كما اهتم الرحالة بالإشارة إلي التناقضات والصراعات بين الطوائف المسيحية من ناحية وبين الطوائف اليهودية من ناحية أخري في حين أنهم لم يشيروا إلي الصراعات بين الطوائف الإسلامية العربية ونظروا إليهم نظرة واحدة وحملوا نحوهم مشاعر واحدة، فالمسيحيون العرب هراطقة أما المسلمون العرب فهم كفار وغير مؤمنين، وثمة ملاحظة أخري وهي أن هؤلاء الرحالة قد استخدموا لفظ المغاربة moors للدلالة علي المسلمين بصفة عامة دون وعي وتدقيق في المفهوم الحقيقي للكلمة.

كما أثبتت الدراسة أن هؤلاء الرحالة كان لهم دور فى الدولة، حيث كان لبعض الشخصيات الأجنبية الأوربية ذوى النفوذ والسلطة دورٌ سياسىٌ فى حل المشاكل بين دولهم والدولة المملوكية، مثل: التاجر بيلوتى الكريتى الذي كان له الفضل الأول في عودة الأسري المسلمين الذين اختطفهم القراصنة الصليبيين البحر المتوسط، كما جاء اهتمامه بالمهام التجارية والدبلوماسية قيما للغاية لأنه ألف كتابا متكاملا عن الدولة المملوكية واهتم بالنواحي السياسية والعسكرية والعادات والتقاليد والعلاقات التجارية مع الدول الأخرى وذلك لأنه كان تاجرا متجولا وعاش في الشرق لفترة طويلة، ومن ناحية أخرى لاحظت الباحثة أن التسهيلات والخدمات التى كانت تقدمها الدولة المملوكية للتجار والحجاج الأجانب، لم تكن دائمة، بمعنى أنه عندما كانت العلاقات تتوتر بين الدولة المملوكية والدول الأوربية (خاصة عندما كان القراصنة الأوربيون يشنون الغارات على السفن والسواحل المصرية) كانت الدولة تعلن مصادرتها لأموال وممتلكات الأجانب المقيمين فى الدولة أو يتعرضون للحبس والضرب والإهانة تعويضاً للأذى الذى ألحقه القراصنة بالمسلمين وأحيانا تصدر القرارات بتحديد المدة

التى يقيم فيها الأجنبي فى البلاد وكانت تتروح ما بين أربعة أشهر إلى ستة أشهر وبعد انتهاء تلك المحنة كانت العلاقات الطيبة تعود مرة أخرى ويتحسن وضع الأجانب فى البلاد وربما يعود ذلك التذبذب فى المعاملات إلى حرص كلا الطرفين على الحفاظ على المصالح الاقتصادية.

وقد كشفت الدراسة عن طبيعة الحياة الاجتماعية للجاليات الأجنبية، حيث أقامت كل طائفة أو جالية أجنبية فى أماكن معينة خاصة بها، حيث أقام الأجانب والأوروبيون فى فنادق في الثغور المصرية، كما كان لكل جالية فندق، ولا يسمح لجالية أخرى بالإقامة فيه، وتمتع ذلك الفندق بخدمات عديدة، منها الراحة والأمان، ووجد به حديقة متسعة، بها أنواع مختلفة من الزهور والنباتات الأجنبية، كما سمحت السلطات بوجود مخبز وكنيسة وحمام داخل الفندق، وبالتالي شعر الأجنبي الوافد بأنه يقيم في بلاده، دون الإحساس بالغربة، ومن ناحية أخرى فإن السلطات الحاكمة لم تسمح لهم بالتجول فى الديار المصرية أو الخروج ليلا من الفندق، وذلك خوفا من للوصول إلى البحر الأحمر، أو الاتصال بملك الحبشة المسيحى لعقد تحالف عسكرى أو اقتصادى بين الطرفين ضد الدولة المملوكية، وهذا الأمر يبدو طبيعيًّا فى ظل أعمال القرصنة الأوربية، حيث كانت الدولة فى شك دائم من هؤلاء الأجانب الأوربيين.

وثمة نتيجة أخري وهى أن الرحالة الأوروبيين قد أمدونا بمعلومات عن مصادر المياه وأهميتها والمشاريع التي قامت عليها لحمايتها من الضياع، وكذلك ذكر طرق زراعة بعض المحاصيل وزراعتها، ولكنهم أغفلوا ذكر مساحة الأراضي الزراعية وتقسيمها وأنواعها ونظام الملكية الزراعية، ولم يلاحظوا أيضاً مدي التغيير الذي طرأ على الأراضي الزراعية من تدهور واضمحلال، وذكروا كذلك قواعد وأنظمة التفتيش في الموانئ الداخلية والخارجية والمراحل التي تمت حيث وصلت أعداد كثيرة من السفن الأجنبية للموانئ المصرية والشامية وحملت على متنها أجناساً متعددة وبضائع قيمة ومتنوعة في الحجم والشكل وقد خضعت تلك السفن لنظام تفتيش دقيق في الموانئ ووضعت الدولة إجراءات دقيقة عند استقبالها وعند رحيلها، كما لم يخف

الرحالة إعجابهم بمراحل استقبال السلطان للسفراء والبروتوكول المتبع في ذلك الوقت، فقد كان الدخول على السلطان في مجلسه يتطلب آدابا يجب أتباعها بكل دقة من السفراء والرسل والأمراء أو أي فرد آخر سواء من داخل البلاد أو من خارجها، ومن خلال ما ذكره الرحالة تبين أنه يجب على الشخص الداخل على السلطان ألا يبدأ بالكلام دون أن يسأله السلطان، ويجب أن يرد على الأسئلة التي يطرحها السلطان وألا يضحك في مجلسه، وأن يقبل الأرض ويقف بعيداً عن مكان جلوس السلطان وينحني عند الدخول وعند الخروج ولا يدير ظهره للسلطان، وتلك الآداب والمراسم لم تعرضها المصادر الإسلامية المعاصرة.

obeikandl.com

obeikandl.com

محلق رقم (١)

اتفاقية الركاب مع ربان السفينة

First Article.-That the captain shall take us pilgrims from Venice to Joppa, a port in the Holy Land, and shall bring us back again from thence to Venice, for which purpose he shall be ready in fourteen days at the outside, and shall not stay here more than fourteen days after this day.

Second.-That he shall well and properly provide a galley with experienced mariners who understand the [b] art of sailing with whatever wind may blow, and shall have on board a sufficient armament for the defence of the galley from the attacks of pirates and enemies, if need be.

Third.-That the captain beware of putting into unusual or strange ports on his way, but that he shall touch only at those in which he is wont to obtain provision for his galley, and that as far as may be he shall avoid putting into harbours, but shall go on his way. We especially desire him to avoid the kingdom of Cyprus, and not to touch there, or if he does so, not to remain in harbour there for more than three days, because we have a traditional belief that the air of Cyprus is unwholesome for Germans. If, however, any of our company should desire to pay his respects to the Queen of Cyprus and wait on her at Nichosia and receive from her the

obeikandi.com

ensigns of her Order, the captain shall be bound to wait for his return, seeing that this was an ancient custom among all noblemen as long as there was a king in that kingdom.

Fourth.-That the captain shall give the pilgrims two meals of food and drink every day without fail. If for any reason any one of us shall not wish to attend the captain's table, or to come to supper in the evening, or if all of us choose to stay in our own berths, nevertheless the captain shall be bound to send food and drink to us without making any dispute.

Fifth.-That the captain shall be bound to provide the pilgrims, during their voyage from Venice to the Holy Land, and from thence back to Venice, with a sufficiency of good bread and biscuit, good wine and sweet water, freshly put on board, with meat, eggs, and other eatables of the same sort.

Ninth.-The captain shall be bound to protect the pilgrims, both in the galley and out of it, from being attacked or ill-used by the galley-slaves, or from being thrown off the galley-slaves' benches, should the pilgrims wish to sit upon them with the slaves. He shall also be bound to prevent the slaves from molesting them on land, as far as he is able, and he shall not place any article in the pilgrims' berths.

Tenth.-The captain shall let the pilgrims remain in the Holy Land for the due length of time, and shall not hurry them through it too fast, and shall lead them to the usual places and go with them in person. We especially wish him to raise no objections to leading

them to the Jordan, which pilgrims always find a difficulty in doing, and he shall save them from all troubles with the infidels.

Eleventh.-All dues, all money for safe-conducts, and for asses and other expenses, in whatever names they may be charged, [35 a] or in whatever place they have to be paid, shall be paid in full by the captain alone on behalf of all the pilgrims without their being charged anything, and he shall likewise pay the great fees; the smaller fees we will see to ourselves.

Twelfth.-In return for all these expenses to be incurred and things to be done by the captain, each pilgrim shall be bound to pay him forty ducats of the kind called de Recta, that is, newly minted. On condition, however, that the pilgrim shall pay one-half of this sum in Venice, and the remainder at Joppa.

Thirteenth.-Should any one of the pilgrims happen to die, the captain shall in no wise interfere with the goods which he leaves, but shall leave them all untouched in the possession of that person or persons to whom the deceased left them by will.

Fourteenth.-Should any one of the pilgrims die before reaching the Holy Land the captain shall be bound to restore one-half of the money which he had previously received, to be dealt with by the executors according to the instructions of the deceased.

Fifteenth.-Should any pilgrim die on board the galley, the captain shall not straightway order his body to be cast into the sea, but shall cause it to be taken ashore and buried in some graveyard. If, however, the galley be at a distance from the land, then the body

of the deceased may be kept on board until either some port is reached or the comrades of the deceased agree to have it cast into the sea.

Sixteenth.-If any of the pilgrims wish to go to St. Catharine's, on Mount Sinai, the captain shall be bound to deliver over to every person expressing such a wish ten ducats of the money previously paid to him.

Seventeenth.-That the captain before leaving Jerusalem with the pilgrims shall loyally help those pilgrims who are setting out to St. Catharine's, and shall draw up a friendly agreement between them and their dragoman.

Twentieth.-That if in this instrument of contract anything has been left out or insufficiently expressed and provided for, which, nevertheless, by law and custom it is the captain's duty to do, then it shall be held to be expressed in this instrument, and shall be held to have been written down therein.

تجمع فى البندقية أثنى عشر حاجا ومنهم الراهب فيلكس فابرى Filx Fabri لتحديد شروط اتفاقية مع الربان للسفر معه على ظهر سفينته لمنع حدوث خلافات وأوضح فابرى ضرورة التزام الربان بتنفيذ تلك الشروط، وتحتوى الاتفاقية على عشرون شرطا كلها تحدد واجبات الربان نحو الحجاج (وقد حذفت الشروط المكررة وتحتوى على نفس المعنى) وهى كالآتي: -

الشرط الأول: أن يتعهد الربان بأن ينقلنا نحن الحجاج من البندقية إلى يافا – ميناء فى الأرض المقدسة – وأن يعيدنا من يافا إلى البندقية، علن أن يكون موجودا فى انتظارنا ابتداء فى مدة لا تزيد عن أربعة عشر يومًا.

الشرط الثاني: يتحتم على الربان أن يجهز السفينة بالبحارة الماهرون الذين يسيرون

مهما كانت الرياح، وعليه أن يجهز السلاح الكافى اللازم للدفاع ضد هجمات القراصنة.

الشرط الثالث: يحذر على الربان أن يقترب من الموانئ الغريبة، بل عليه التوقف عن الموانئ المعتاد عليها، ومن الأفضل أن يتجنب الرسو فى قبرص خاصة لأن طقسها من الممكن أن يسبب لنا الضرر والأذى، وإذا اضطر إلى ذلك فلابد ألا تزيد مدة بقائه على ثلاثة أيام فقط.

الشرط الرابع: على الربان أن يقدم لكل حاج وجبتين من الطعام يوميا بدون انقطاع، وإذا حدث ولم يحضر أحد من الحجاج لتناول الطعام فعليه أن يبعث له طعامه وشرابه إلى مكانه دون إثارة الخلافات.

الشرط الخامس: يجب على الربان أن يزود الحجاج بالخبز والخمر الجيدة والماء العذب وباللحم والبيض وجميع أنواع الأطعمة أثناء رحلتهم من البندقية إلى الأرض المقدسة ومن هناك عائدين إلى البندقية.

الشرط التاسع: ينبغي على الربان أن يحمى الحجاج من عبيد السفينة سواء فى البر أو البحر، وعدم وضع أي شيء في أماكن نوم الحجاج.

الشرط العاشر: يتعهد القبطان بأن يسمح للحجاج أن يقيموا فى الأرض المقدسة الوقت الكافى ولا يجبرهم على الإسراع إلى العودة، وعليه أيضا أن يصطحبهم فى رحلتهم ويساعدهم فى تجنب المشاكل مع الكفار (المسلمين) عند زيارة نهر الأردن.

الشرط الحادي عشر: يتوجب على الربان تحمل كل الرسوم والنفقات ودفع جميع الأموال من أجل المرور الآمن ومن أجل الحمير والنفقات الأخرى دون أن يتقاضى ذلك من الحجاج، أما النفقات الصغيرة فنحن سوف نتدبرها بأنفسنا.

الشرط الثاني عشر: على كل حاج أن يدفع أربعين دوكة ذهبية فقط، بحيث أن يدفع نصفها فى البندقية قبل السفر والنصف الآخر في يافا، ويعتر هذا المبلغ هو إجمالى ما يدفعه الحاج مقابل رسوم سفره وما يتطلبه هذا السفر.

الشرط الثالث عشر: إذا توفى أحد الحجاج على ظهر السفينة فلا يحق للربان الاستيلاء على ممتلكاته بل يتركها لأصدقاء المتوفى أو الشخص الذى يوصى المتوفى بترك أشيائه معه إذا ترك وصيه.

الشرط الرابع عشر: إذا توفى أحد الحجاج قبل الوصول إلى الأراضى المقدسة يتحتم على الربان أن يعيد نصف ما دفعه المتوفى ويتم التصرف فى المبلغ على أساس الوصية التى تركها المتوفى للأوصياء.

الشرط الخامس عشر: إذا توفى أحد الحجاج على ظهر السفينة لن يقوم الربان بإلقائه فى البحر، بل عليه تخصيص مكان على السفينة لحفظ الجثة لحين الوصول إلى أقرب ميناء ودفنه فى أحد المدافن، أو يوافق أصدقاء الميت على إلقاء جسده فى البحر.

الشرط السادس عشر: يتوجب على الربان أن يدفع عشرة دوكات من المبلغ الذى دفعه من قبل لكل حاج يرغب فى السفر إلى سيناء لزيارة دير سانت كاترين.

الشرط السابع عشر: على الربان أن يؤمن طريق الحاج إلى دير سانت كاترين وينظم اتفاقية طيبة بين الحجاج والدليل ويساعدهم في ذلك بإخلاص.

الشرط العشرون: إذا ترك شيء وأغفل في الاتفاقية، أو لم يشرح بدقة، إنما هو بحكم القانون والعادات السائدة من واجبات الربان وعليه تنفيذها.

وبعد وضع تلك الشروط بعث بها إلى الربان الذى قرأها بدقة واحدا واحدا بعناية كبيرة ووافق على بعض الشروط ولم يقبل الأخرى مثل، الفقرة الثانية من الشرط الأول الخاصة بتحديد ميعاد الركوب لأن ذلك يعتمد على الظروف الجوية ويمكن تحديد الميعاد بعد انقضاء الأيام الستة والعشرين، أما بالنسبة للشرط الثاني عشر، فقد رفضا أن يأخذ أقل من خمس وأربعين دوكة ذهبية من كل حاج، وبالنسبة للشرط الخامس عشر، فلم يرض ببقاء جثة ميتة على ظهر السفينة. وبعد عقد الاتفاقية أحضرت الشهود وتم التوقيع عليها.

♦ملحق رقم (٢)
جدول بأسماء الرحالة الأوربيون

اسم الرحالة	الجنسية	تاريخ الوصول	دافع الرحلة
الرابي بنيامين التطيلي rabi Benjamin of tudel	يهودي إيطالي	٥٦١- ٥٦٩هـ/ ١١٦٠-١١٧٣م	التجارة ـ الحج
ثيودوريس Teeoderich	ألماني	٥٦٨هـ/١١٧٢م	الحج
الراهب بورخارد من جبل صهيون Burchard ofmount Sion	ألماني	٦٣٠-٦٨١هـ/١٢٣٢-١٢٨٢م	رئيس دير جبل صهيون
مارينو سانوتو MarinoSanudo (torsello)	إيطالي	٧٢١-٧٤٤هـ/١٣٢١-١٣٤٣م	إعداد حملة صليبية
السير جون منديفيل Sir john Moundville	إنجليزي	٧٢٢-٧٥٧هـ/١٣٢١-١٣٥٦م	التجول والنزهة
أنطوان دي كرمون Antoin de Cremone	فرنسي	٧٢٨-٧٣١هـ/١٣٢٧-١٣٣٠م	التجول والنزهة
أسحاق بن يوسف بن شلو Isaac ben Joseph ibn chelo	يهودي أسباني	٧٣٤هـ/١٣٣٣م	الحج

♦ تجميع الباحثة.

obeikandl.com

الراهب لودولف فون سوخم Ludolph von Suchem	ألمانى	٧٣٧-٧٤٢هـ/ ١٣٣٦-١٣٤١م	أسقف دير جبل صهيون - الحج
الراهب نيكولو بوجيبونسي Nicolo of Piggoponsi	إيطالى	٧٤٧-٧٥١هـ/١٣٤٦-١٣٥٠م	الحج
رحالة مجهولون		٧٥١هـ/١٣٥٠م	الحج
إيمانويل بيلوتى الكريتى Emmanuel Piloti de Crete	كريتى	٧٩٩-٨٤٠هـ/ ١٣٩٦-١٤٣٦	التجارة
السير دى لانجلير Seigner de Angleur	فرنسى	٧٩٨هـ/١٣٩٥م	الحج–إعداد حملة صليبية
يوحنا شيلتبرجر Johann Schiltberger	ألمانى	٧٩٩-٨٣١هـ/١٣٩٦-١٤٢٧م	الحج
مارجرى كمب Margery Kempe	إنجليزية	٨١٦-٨١٨هـ/١٤١٣-١٤١٥م	الحج
رحالة مجهول		٨٢٢-٨٢٩هـ/١٤١٩-١٤٢٥م	الحج
يوحنا بولونير Johan Poloner	ألمانى	٨٢٤هـ/١٤٢١م	الحج والتجول
جلبيرت دى لانوى Gillerbert de	فرنسى	٨٢٤هـ/١٤٢١م	جمع معلومات لإعداد حملة

Lannoy			صليبية
فيليس برانكاشى Fielice brancacci	فلورنسى	٨٢٥هـ/١٤٢٢م	سفير فلورنسى لهدف تجارى
برتراندو لابروكيير Bertrando de la broquiere	فرنسى	٨٣٦-٨٣٧هـ/١٣٣٢-١٤٣٣م	جمع معلومات لإعداد حملة صليبية
بيرو طافور Pero tafour	أسبانى	٨٣٩-٨٤٣هـ/١٤٣٥-١٤٣٩م	سفير ملك قبرص
الراهب جان جيرمان Jean Jermein	فرنسى	٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م	أسقف كنيسة بدير صهيون - جمع معلومات لإعداد حملة صليبية
الراهب فيلكس فابري Felix Fabri	ألمانى	الرحلة الأولى ٨٨٥هـ/١٤٨٠م	الحج
الراهب فرانسيسكو سوريانو Francisco sauriano	إيطالى – البندقية	الرحلة الأولى ٨٨٦-٨٨٩هـ/١٤٨١ - ١٤٨٤م	راهب دير فى بيروت
الرابى ميشولم بن مناحم الفولتيرى Rabii Meshullam ben Menahem of voltera	يهودى ايطالى	٨٨٦هـ/١٤٨١ م	الحج والتجول

جوز فان جستيل Joos van ghistele	فرنسى	٨٨٧-٨٨٨هـ/١٤٨٢-١٤٨٣م	الحج والتجول
الراهب فيلكس فابري Felix Fabri	ألمانى	الرحلة الثانية ٨٨٨-٨٨٩هـ/١٤٨٣-١٤٨٤م	الحج والتجول
الراهب برنارد فون برندباخ Bernhard von breydenbah	ألمانى	٨٨٨-٨٨٩هـ/١٤٨٣-١٤٨٤م	الحج والتجول
ليوناردو فريسكوبالدى Leonardo Frescobaldi جورجيو جيوشى Giorgio Gucci سيمون سيجولى Siemon Sigoli	إيطاليا – فلورنسا	٨٨٩هـ / ١٤٨٤م	الحج والتجول
الراهب فرانسيسكو سوريانو Francisco sauriano	إيطالى – البندقية	الرحلة الثانية ٨٩٩-٩٢١هـ/١٤٩٣-١٥١٥م	ريس دير جبل صهيون
الفارس أرنولد فون هارف A knigh arnold von Harff	ألمانى	٩٠٢-٩٠٥هـ/١٤٩٦-١٤٩٩م	الحج والتجول

لودفيكو فارتيما (الحاج يونس المصرى)	إيطالى – برتغالى	٩٠٩-٩١٥هـ/١٥٠٣-١٥٠٩م	التجسس لملك البرتغال
مارتن بوم جارتن Martin baumgartin	ألمانى	٩١٣هـ/١٥٠٧م	الحج
جان تينو Jean thenaud	ألمانى	٩١٨هـ/١٥١٢م	الحج والتجول
دومينكو تريفزانى Dominico Trevisan	إيطالى – البندقية	٩١٨هـ/١٥١٢م	سفير لدوق البندقية
ليون الإفريقى (حسن الوزان)	عبد مملوك للبابا ليو العاشر وتربى فى أفريقيا	٩٢٣هـ ١٥١٧م	التجول والنزهة

obeikandl.com

♦ملحق رقم (٣)

ترتيب الشهور العربية و القبطية والسريانية والرومانية والعبرية

العربي	السرياني	الروماني	القبطي	العبري
المحرم	آب	أغسطس	توت	تشرى
صفر	أيلول	سبتمبر	بابة	مرحشوان
ربيع١	تشرين ١	أكتوبر	هتور	كسلا
ربيع٢	تشرين٢	نوفمبر	كيهك	طابات
جمادي١	كانون ١	ديسمبر	طوبة	شباط
جمادي٢	كانون ٢	يناير	أمشير	آذار
رجب	شباط	فبراير	برمهات	نيسان
شعبان	آذار	مارس	برمودة	آيار
رمضان	نيسان	إبريل	بشنس	سيوان
شوال	آيار	مايو	بؤونة	تموز
ذو القعدة	حزيران	يونيو	أبيب	آب
ذو الحجة	تموز	يوليو	مسرى	أيلول

♦ تجميع الباحثة.

- من المعروف أن أيام السنة الشمسية في المدة التي تقطع الشمس الفلك فيها مرة واحدة حسب ما توجبه حركتها في ميلها في الجنوب والشمال ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب، وأيام السنة الهلالية في المدة التي يقطع القمر الفلك فيها اثنتي عشرة دفعة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وسدس يوم فيكون التفاوت بينها أحد عشر يوماً وسدس يوم أو تكون زيادة السنين الشمسية عن السنين الهلالية كل ثلاث سنين شهراً واحداً وثلاثة أيام ونصف يوم تقريبا أو في كل ثلاث وثلاثين سنة، سنة واحدة فإذا تمادى الزمان زاد تفاوت ما بين السنين حتى يكون كل ثلاثمائة سنة شمسية ثلاثمائة وتسع سنه هلالية. انظر، القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ج٣ تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٢٢١-٢٢٢.

خريطة رقم (١)

خط سير رحلة الرحالة بيترو كازولا من ميلان إلى بيت المقدس

نقلا عن Casola,Pilgrimage to Jerusalem

موقع حجاج بيت المقدس، الرحالة بيترو كازولا

http://chass.colostate-pueblo.edu/history/seminar/seminar97.html

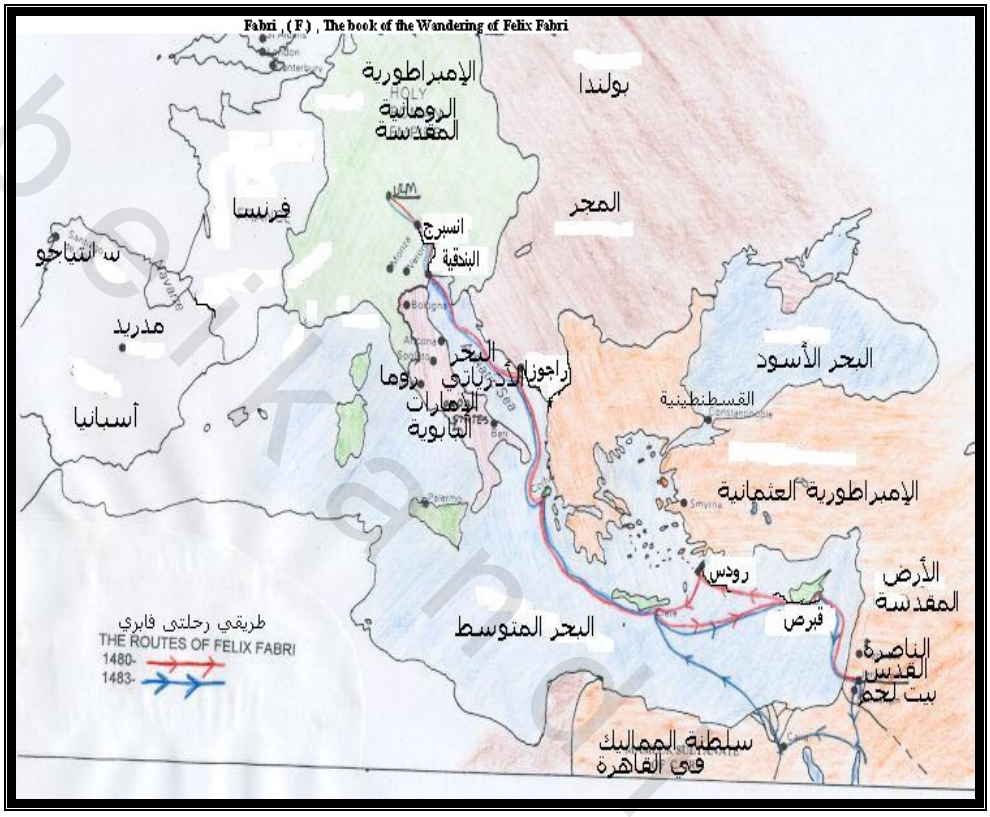

خريطة رقم (٢)

خط سير رحلتى الراهب الألمانى من مدينة أولم إلى مصر والشام

نقلا عن Fabri,the book of the Wandering of Felix Fabri

موقع حجاج بيت المقدس، الرحالة فيلكس فابرى

http://chass.colostate-pueblo.edu/history/seminar/seminar97.html

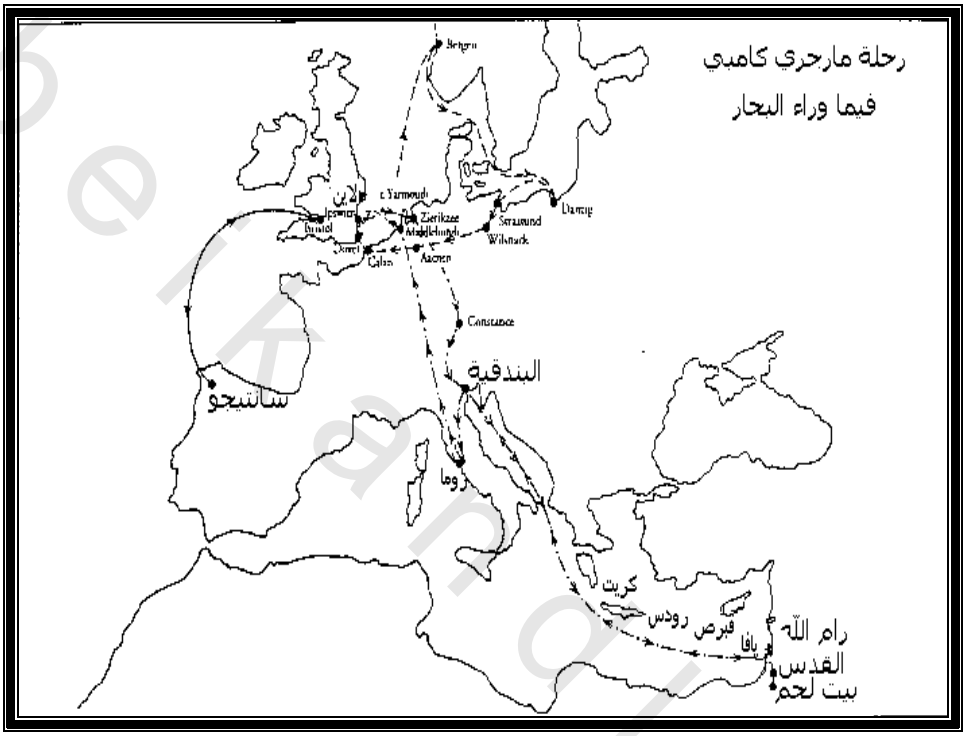

خريطة رقم(٣)

خط سير رحلة السيدة مارجرى كمب من مدينة لاين إلى بيت المقدس

نقلا عن Skinner,(J.),The book of Margery Kemp

موقع حجاج بيت المقدس، الرحالة السيدة مارجرى كمب

http://chass.colostate-pueblo.edu/history/seminar/seminar97.html

صورة رقم (١)

توضح طريقة عقاب المجرمين وهى عقوبة التشهير والتجريس

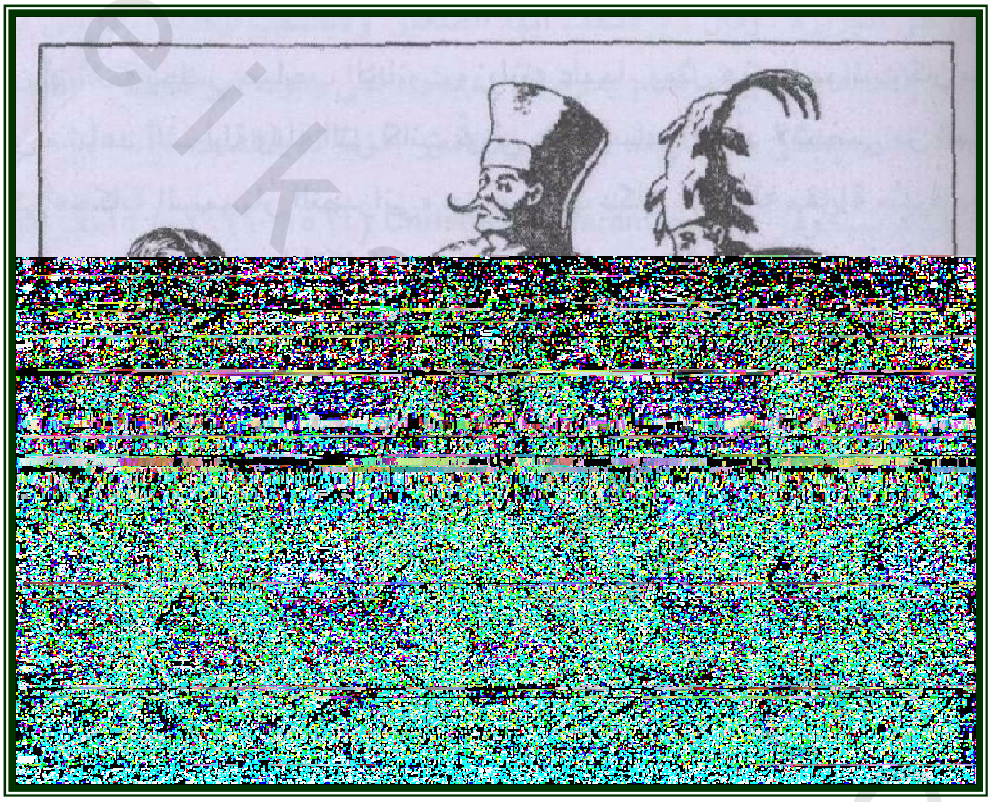

نقلاً عن

Wolff, How many miles to Babylon ?,p.124.

صورة رقم (٢)

توضح تشابه ملابس المسلمين وأهل الذمة فى العصر المملوكى

نقلاً عن

Harff, The pilgrimage of Arnold Von Harff, p.113.

المصادر

أولاً: المصادر العربية والمعربة:

١) ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بأبن الأخوة ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م)

- معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبن ليوى، مكتبة المتنبي، القاهرة، ب. ت.

٢) ابن أبي الفضائل (مفضل بن أبى الفضائل، ت ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م)

- تاريخ سلاطين المماليك أو النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشره وترجمه للفرنسية وعلق عليه

E. Blauchet, patralogia Orientalis,3 vols, Paris, 1919 , 1952, 1929

٣) ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس المصري، ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ أجزاء، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٢ – ١٩٨٣م.

- اعتمدت أيضاً على نسخة ابن إياس، بدائع الزهور، طبعة الشعب،١٩٦٠م.

٤) ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر عبد الله بن أيبك، ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).

- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن الدرة الذكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١م

- الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت ويمر، القاهرة، ١٩٦٠م.

٥) ابن بطوطة (عبد الله بن محمد بن إبراهيم ت ٧٧٩ هـ /١٣٧٧م).

-رحلة ابن بطوطة المسماة بـ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، بيروت ١٩٦٠

٦) ابن بهادر (كمال الدين محمد بن محمد المؤمني ٨٧٧هـ – ١٤٧٢م).

- فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٧٧ تاريخ).

٧) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبعة دار الكتب المصرية حتى ج١٢، القاهرة، ١٩٦٠م، من ج١٣ ـ١٦، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م
ـ منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، حررها وليام بير، كاليفورنيا، ١٩٣٠م.
٨) ابن جبير (أبى الحسن محمد بن أحمد بن جبير، ت ٦١٤هـ/١٢١٧م).
- رحلة ابن جبير، تحقيق محمد زينهم، دار المعارف، ط١، ٢٠٠٠م.
٩) ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م)،المدخل إلي الشرع الشريف، ٤ أجزاء، دار الحديث، بيروت، ١٩٨١ م
١٠) ابن حبيب (الحسن بن عمر بن حبيب، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م).
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج١،ج٢،ج٣، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٦ ١٩٨٦،١٩٨٢م.
١١) ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر، ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م).
- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عاشور، أحمد دراج، الرياض، ١٩٨٢م.
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥، بيروت، ١٨٩٣ م.
١٢) ابن سعيد المغربي (على بن سعيد المغربي، ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م).
- المغرب في حلى المغرب،ق٢ الخاص بالقاهرة والمعروف بالنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٣) ابن شاهين (غرس الدين بن خليل بن شاهين الظاهري، ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م).
ـ زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك، صححه بولس راويس، باريس ١٨٩٤م.
١٤) ابن طولون (شمس الدين محمد بن طولون، ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج١، تحقيق محمد مصطفي، القاهرة، ١٩٦٢ م.
١٥) ابن ظافر(جمال الدين أبى الحسن علي بن ظافر الأزدي ت ٦١٣هـ/١٢١٦م)

- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق اندرية فرية، المعهد الفرنسي، القاهرة،١٩٧٢ م.
١٦)ابن ظهيرة
- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، كامل المهندس، دار الكتب المصرية، ١٩٦٩م.
١٧) ابن عبد الظاهر (محي الدين بن عبد الظاهر، ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م).
– تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م.
- الروض الزاهر في سيره الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز خويطر، الرياض، ١٩٧٦م
- الروضة البهية الزاهرة في خطط القاهرة المعزية، تحقيق ايمن فؤاد السيد، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٨) ابن عساكر(ابن عباس بن إسماعيل بن عساكر ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)
- حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز خويطر، الرياض١٩٧٦م.
- الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور، تحقيق، عبد السلام تدمري، بيروت، ١٩٩٨ م.
١٩) ابن الفرات (ناصر الدين محمد عبد الرحيم، ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).
- تاريخ ابن الفرات المعروف بـ "تاريخ الدول والملوك"، ج٧، تحقيق قسطنطين رزيق، بيروت، ١٩٣٦م.
٢٠) ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
- البداية والنهاية،بيروت،١٩٨٢م.
٢١) ابن كنان (محمد بن عيسى، ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م)
- حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس الصباغ، بيروت،١٩٩١م.
٢٢) ابن مماتي (الأسعد مماتي بن الوزير الأيوبي، ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م).

- قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة، ١٩٤٣م.
٢٢) إبراهيم بك حليم
- التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، تحقيق نجوي عباس، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
٢٣) الأبشيهي (بهاء الدين محمد الأبشيهى ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م)
- المستطرف في كل فن مستظرف، ج٢، القاهرة، ١٩٥٢.
٢٤) الإدريسي (أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، ت ٦٥٠ هـ/ ١٢٥٥م).
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، ب. ت.
٢٥) البدري الدمشقي (أبي البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري الدمشقي)، نزهة الأنام في محاسن الشام، القاهرة، ١٣٤١ هـ.
٢٦) البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٨م)
- مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع، القاهرة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١،١٩٥٤ م.
٢٧) البغدادي (احمد بن عبد الله بن عبد اللطيف البغدادي)
- رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر تحقيق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط ٢، الهيئة العامة، ١٩٩٨م.
٢٨) البلوي (خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن خالد البلوى)
- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، الدار البيضاء،١٩٧٠م.
٢٩) بنيامين التطيلي
- رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد، تقديم عبد الرحمن الشيخ، الإمارات، ٢٠٠٢ م
٣٠) بورخارد من جبل صهيون
- وصف الأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، عمان، ١٩٩٥
٣١) بيبرس المنصوري (ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الدوادار ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)

- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ج٩، تحقيق زبيدة عطا، القاهرة، ١٩٨٩ م.
- مختار الأخبار، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٣ م.
٣١) بيرو طافور، رحلة بيرو طافور في عالم القرن ١٥ م، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
٣٢) الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
- معجم البلدان، بيروت ط١، ١٩٧٩ م.
٣٣) الحميري (محمد بن بعد المنعم الحميري)
- الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠.
٣٤) الحنبلي (القاضي أبو اليمن مجير الدين الحنبلي ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م)
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جزءان، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
٣٥) السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن)
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٤٥ هـ.
٣٦) السيوطي (الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل، جزءان، القاهرة، ١٩٦٨م.
٣٧) الشوكاني (القاضي محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٨م)
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق خليل المنصور، جزءان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
٣٨) الصفدي (صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
- أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، تحقيق، علي أبو زيد وآخرون،ط١، دار الفكر، دمشق،١٩٩٨م.
٣٩) الصيرفي (علي بن داود بن إبراهيم الصيرفي ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠ – ١٩٧٣م.

- إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة العامة، ٢٠٠٢ م.
٤٠) العسقلاني (الحافظ بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).
– إنباء الغمر بأنباء العمر، ٩ أجزاء، دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٦م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٤أجزاء، تحقيق الشيخ عبد الوارث محمد على، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
٤٠) العمرى (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٢، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، ط١، بيروت، ١٩٨٦ م.
- التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، ١٣١٢هـ.
٤١) العيني (بدر الدين محمود العيني ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١)
- عقد الجمان في تاريخ الزمان، ٤ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة العامة، ١٩٨٧- ١٩٨٨- ١٩٨٩- ١٩٩٢م.
٤٢) القرماني (أحمد بن يوسف القرماني ت ١١٠٩هـ/ ١٦١٠م).
- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، فهمى سعيد، بيروت،١٩٩٢م.
٤٣) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود).
- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،١٩٧٩م.
٤٤) القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزء، القاهرة، ١٩١٣-١٩١٨م.
٤٥) لود فيكو فارتيما
- رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
٤٦) مارينو سانوتو، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب باسترجاع الأراضي المقدسة، ترجمة الأب سليم رزق الله، بيروت ١٩٩١م.

٤٧) المسعودي، أبى الحسن على بن الحسين بن على (ت٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٨٧م

٤٧) المقريزي (تقى الدين أحمد بن على المقريزي، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م).

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد، القاهرة، ١٩٧١م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك،ج١،ج٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة،ج٣،ج٤، تحقيق سعيد عاشور، دار الكتب المصرية، ١٩٧٠م، ١٩٧٢م، ١٩٧٣م.

- الخطط المقريزية المعروفة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ أجزاء، نشر كلية الآداب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤٨) مؤلف مجهول

- تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق زترستين، ليدن، ١٩١٩م.

٤٩) ناصر خسرو

- سفرنامه، ترجمة، يحي الخشاب، الهيئة العامة، ١٩٩٣م.

٥٠) النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

- نهاية الإرب في فنون الأدب ، ج٣٠، تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة،الهيئة العامة، ١٩٩٠ م

٥١) النويري السكندري (محمد قاسم بن محمد السكندري ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)

- الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية، ٥ أجزاء، تحقيق عزيز سوريال، ايتن كومب، الهند، ١٩٦٩-١٩٧٣ م.

٥٢) الهروي (أبى الحسن على بن أبى بكر الهروي ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م)

- الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢م.

٥٣) الوزان (الحسن بن محمد الوزان الزياتي المعروف بـ جان ليون الأفريقي)

- وصف أفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، السعودية، ١٣٩٩هـ.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:-

١) إبراهيم حسن

- البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦ م

٢) إبراهيم علي طرخان

- النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٣) أحمد دراج

- تاريخ المماليك والفرنج في القرن ٩ هـ / ١٥ م، دار الفكر العربى، ١٩٩٠.

٤) أحمد رمضان

- المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٧٧ م.

٥) أحمد عبد الجواد

- الأسبلة قطرات من ماء ولمسات من جمال، مجلة العربي، العدد ٥٦١، أغسطس ٢٠٠٥ م.

٦) أحمد عبد الرازق

- الرنوك الإسلامية، المجلة التاريخية، م١١، ١٩٧٤.

- الحضارة الإسلامية، في العصور الوسطي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.

- الجيش المصري في العصر المملوكي، القاهرة، ١٩٩٩م.

- المرأة في مصر المملوكية، الهيئة العامة، ١٩٩٩م.

٧) أحمد مختار العبادي

- تاريخ البحرية المصرية، الإسكندرية، ١٩٧٠ م.

٨) آدم متز

- الحضارة الإسلامية في القرن ٤ هـ، ترجمة محمد عبد الهادي، الهيئة العامة، الألف كتاب، ج٢

القاهرة، ٢٠٠٣م.

٩) آشتور. آ

- التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادى عيلة، دمشق، ١٩٨٥م.

١٠) أمينة الشوربجي

- رؤية الرحالة المسلمون للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، الهيئة العامة، ١٩٩٤م.

١١) إير لابيدوس

- مدن إسلامية في عهد المماليك، ترجمة علي ماضي، بيروت، ١٩٨٧م.

١٢) جاستون فيت

- المواصلات في مصر في العصور الوسطي، ترجمة محمد وهبة، مجلة المقتطف، ١٩٣٧ م.

١٣) جمال الدين الشيال

- مجمل تاريخ دمياط، الإسكندرية، ١٩٤٩ م.

١٤) جورج كيرك

- موجز تاريخ الشرق الأوسط، ترجمة عمر اسكندر، القاهرة، ب.ت.

١٥) جوزيف نسيم

- دراسات في المخطوطات العربية بدير سانت كاترين، مجلة آداب إسكندرية، العدد ٢٢، ١٩٦٩ م.

- دراسات في تاريخ الشرق والغرب، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

١٦) جومار

- وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمة ايمن فؤاد السيد، القاهرة، ١٩٨٨ م

١٧) جوناثان رايلى سميث

- تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة، قاسم عبده قاسم، دار عين للنشر، ط١ / ٢٠٠٧ م.

١٨) حسين عطية

- إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م)، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

obeikandl.com

١٨) رأفت النبراوي
- المسكوكات الصليبية في بلاد الشام، القاهرة، ١٩٩٨ م
١٩) رئيسة عبد الفتاح
- نابلس في العصر المملوكي، فلسطين ١٩٩٩ م
٢٠) ستانلي لين بول
- سيرة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٦م.
٢١) ستيفن رنسيمان
- تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١ م
٢٢) سعاد ماهر
- القاهرة وأحياؤها القديمة، القاهرة، ١٩٦٧ م.
٢٣) سعيد البيشاوي
- الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٠ م.
- دراسات في الأديان والفرق، عمان، ١٩٩٦ م.
٢٤) سعيد عبد الفتاح عاشور
- المجتمع المصري في العصر المملوكي، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٢م.
- الحركة الصليبية، جزءان، الأنجلو المصرية، ١٩٦٣م.
- العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- "بعض أضواء جديدة علي مدينة القدس" بحث المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، إبريل١٩٨٠م.
٢٥) سمير علي الخادم، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٦) السيد الباز العريني، الإقطاع الحربي بمصر، القاهرة، ١٩٥٦م.
٢٧) شاريل ديل، جمهورية البندقية، ترجمة أحمد عزت، دار المعارف القاهرة، ١٩٤٨م.
٢٨) صبحي لبيب

obeikandl.com

- "الفندق ظاهرة سياسية و اقتصادية وقانونية"، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط، دار الفكر، ١٩٨٥م.
٢٩) عارف العارف
- المسيحية في القدس، القدس، ١٩٥١ م.
- تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١ م
٣٠) عبد الحميد زايد
- القدس الخالدة، الهيئة العامة، ١٩٧٤ م
٣١) عبد القادر الريحاوي
- مدينة دمشق و تراثها، دمشق، ١٩٦٩م،
٣٢) عبد المنعم ماجد
- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج١، ط٢، الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.
٣٣) عزيز سوريال عطية
-الحروب الصليبية وتأثيرها علي العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف، ط٢، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م.
٣٤) علي السيد علي
- "القاهرة في عيون الرحالة الأوربيين في القرنين ١٥،١٤م"؛ مجلة الفكر العربي، العدد ١٣، ١٩٨٨ م.
٣٥) علي مبارك
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، ج ١١، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠ م.
٣٦) عمر كمال توفيق
- مجتمع الإسكندرية في العصور الوسطي، الإسكندرية، ١٩٧٢ م.
٣٧) فايد حماد عاشور
- العلاقة بين البندقية والشرق الإسلامي في العصر الأيوبي، دار المعارف، ١٩٨٠ م.

obeikandi.com

٣٨) فايز إسكندر
- مصر في كتابات الرحالة الروس في القرن ١٥م، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
٣٩) ماهر يونان
- الطوائف المسيحية في مصر والعالم، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
٤٠) محاسن الوقاد
- اليهود في مصر المملوكية، الهيئة العامة، تاريخ المصريين، العدد ١٣٥، ١٩٩٩م.
٤١) محمد أحمد دهمان
- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠ م.
٤٢) محمد أنيس
- الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ – ١٩١٤ م)، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٧ م.
٤٣) محمد حسنين ربيع
- دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م،
٤٤) محمد عدنان
- بحث في تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٠ م.
٥٤) محمد غلاب
- الساحل الفينيقي في الجغرافيا والتاريخ، بيروت، ١٩٦٩ م.
٤٦) محمد كرد علي
- خطط الشام، دمشق، ١٩٢٥م.
٤٧) محمد محمود النشار
- علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك، دار عين، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م.
٤٨) محمد مصطفى زيادة
- "المحاولات الحربية للاستيلاء على رودس"، ترجمة جمال الدين الشيال، مجلة الجيش ١٩٤٦م.

٤٩) مصطفي حسن الكناني
- العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي، الهيئة العامة، ١٩٨١م.
٥٠) محمود العايدي
- قدسنا، القاهرة، ١٩٧٢ م.
٥١) محمود الحويري
- الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين ١٢-١٣م، دار المعارف، ١٩٧٩م.
٥٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٩٨٩م.
٥٢) محمود سعيد عمران
- الحملة الصليبية الخامسة (٦١٥-٦١٨هـ/١٢١٨-١٢٢١م)، الاسكندرية، ١٩٨٥م،
٥٣) نبيل عبد العزيز
- الحمام الزاجل وأهميته في عصر المماليك، المجلة التاريخية، م ٢٢، ١٩٧٥ م.
٥٤) نعيم زكي
- طرق التجارة ومحطاتها الدولية، القاهرة، ١٩٧٣ م.
٥٥) نقولا زيادة
- رواد الشرق العربي، مجلة المقتطف، القاهرة، ١٩٤٣م.
٥٦) نورمان كانتور
- التاريخ الوسيط، ج٢، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار عين، القاهرة، ١٩٩٤م.
٥٧) هايد.ح
- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة احمد رضا، الهيئة العامة، ١٩٩٤

ثالثاً: الرسائل العلمية:-

١) أحمد عبد الله
- التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٢و١٣، ماجستير غير منشور، آداب عين شمس، ٢٠٠٦ م.
٢) أسامة سيد علي

obeikandl.com

- الساحل الشامي، في القرن ١٢ م، ماجستير غير منشور، عين شمس، ١٩٩٢ م.
٣) جمال فاروق
- تطور استراجية الحروب الصليبية، ماجستير غير منشور، جامعة طنطا، ٢٠٠٦ م.
٤) حسناء حسين محمد
- الإمارات التركمانية علي حدود دولة المماليك، ماجستير غير منشور، بنات عين شمس، ٢٠٠٢ م.
٥) حسين النحال
- دولة المماليك ودول البحر المتوسط، ماجستير غير منشور، آداب الزقازيق، ١٩٨٧ م.
-الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس في أواخر العصور الوسطى، دكتوراه غير منشورة، بآداب عين شمس،١٩٩١م.
٦) سليمان عطية
- سياسة المماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عصر برسباي، دكتوراة غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٥٩ م.

رابعاً: المصادر الأجنبية:

1) Adler,(E. N.),
- Jewish Travelers, 1 ed , , London , 1930.
2) Anonymous,
Guid book to Palestine 1350 , trans by Bernard , P.P.T.S ,vol 6 – ,London , 1894.
3) Baumgarten , (M.) ,
-The Travel of Martin Baumgarten through Egypt ,Syria ,Palestine , London , N.D.
4) Casola , (C.P.) ,
-Pilgrimage to Jerusalem ,trans. by M. Margaret Newett ,

obeikandl.com

Manchester,1907.
5)Doop. (P.h),
- Les relations Egypte – Catalans et les corsairs au commencement du quinzieme siecle , le caire , 1949.
- L'Egypte au commencement du quinzieme siecle, le Caire , 1950.
- Le Caire vu par les voyageurs accident du mogen ages, tome 24-26, le caire, 1951.
6) Fabri,(F.) ,
- The book of the Wandering of Felix Fabri (1480-1483 A.D),2vol,p.p.t.s,vol 7-10, trans. by Aubrey Stewart, London ,1896.
- Le Voyage en Egypte 1483, 3 toms, trad. Du Latin Presente et annote par J. Masson , Le Caire , 1975.
7) Frescobaldi , Gucci , Sigoli,
- A Visit to the Holy Places , trans. by Theophilus Bellorini , Jerusalem , 1948.
8) Germain ,(J.) ,
- Le Discours du Voyage de Oltremere au tres victoorieux roi Charles vii , R.O.L , tome 3 , Paris ,1895. 9) Harff , (A.V.) , The Pilgrimage of Arnold Von Harff , trans by Letts Malcolm ,London , 1946. 10) Johan Schiltberger,
- The bondage and Travel of Johan, schiltberger, native of Bavaria in Europe , Asia , Africa,(1396- 1427) , trans by Karl Fredric,London , 1859.

11) Joos Van Ghistele ,
-Voyage en Egypte (1842 - 1483), trans by , Bauwens Preaux , .Bruxelles , 1975
12) Langnon ,(B.) ,
- Le Saint voyage de Jehrusalem de Seigner de Angleur ,paris , 1878.
13) Larrivaz ,(f.) , - Le Saints Peregrinations de Bernard de Breydenpah 1483,Le Caire ,1904.
14) Ludolph Von Suchem, - Description of the Holy land and the way thither , translated by Aubrey Stewart, London , 1895.
15) Margery Kemp,
- The book of Margery Kemp,trans by Skiner jemes , New York , 1998.
16) Nicolo of Poggibosi ,
- A voyage Beyond the seas(1346-1350) , Jerusalem , the Franciseen Pres , 1945.
17) Poloner , (J.) ,
- Description of the Holy Land 1421 , trans by Aburey Stewart , in P.P.T.S , vol 6 , London , 1894.
18) Potvin ,(C.H.) ,
.- Oeuvres de Ghillebert de Lannoy , London , 1878
19) R.B , Two Journey to Jerusalem , London , 1685. 20) Schefer, (c,h)
-Le Voyage de Jean Thenaud et Dominico Trevisani , Paris,1864.
20) Souriano ,(F.) ,

obeikandl.com

- Treaties on the holy Land ,translated by Fr. Theophilus Bellorini ,Jerusalem,1948.
21) Theoderich,(G.H),
- Guide to the Holy Land trans byAburey Stewart ,2 ed ,New york,1968.
22) William of Tyre ,
- History of Deeds done beyond the sea , New York ,1978.
23) Wright , (T.) ,
- Early travelers in Palestine , London , 1948.

خامساً المراجع الأجنبية:

1) Armstrong ,(K.), A history of Jerusalem ,one city, three faiths , U.S.A , 1997.
2)Atiya,(A.S),
- the latter crusades in the middle ages , London ,1938.
- Egypt and Aragon , Leipzig , 1938. 3) Bryane ,(G.)
-Genoes Shipping in the 12-13 centuries.Cambridge , 1930.
4)Callis , (L.) , - Memory of medieval women , new York , 1962.
5) Coleman , (S.) , and Elsmere (J.) , - pilgrimage past and present in the world religions ,Cambridge , 1995. 6)Davis,
- Bernard Von Breydenpach and his Journey to the Holy Land, London , 1911.
7) Day (C.) ,
- History of Commerce , New York , 1940.
8)Deeping , (E.) ,
- Histoire de Commerce enter le Levant et Le Europe depuis des

les Craissades, Paris 1830.
9)Dopp ,(P.H.),
- Les Relations Egypte-Catalans et les corsairs au commencement du 15 siecle , le Caire,1949.
10) Encyclopedia of Religion , vol 10 ,2ed , U.S.A , 2005. 11) Gale ,(T.)
-New catholic encyclopedia ,U.S.A , 2003
12) Graham , (P.),
- Top graphical dictionary of Palestine , or the holy land ,London , 1836.
13) Hill. G ,
- History of Cyprus, vol 2 ,Cambridge , 1972.
14) Lane , (E.) ,
- The Economic Meaning of the Invention of the compass , London ,1963.
15)Lane (F.G) ,
- Ventian Shipping during the Commercial Revolution , London , 1937.
16) Lane , (F.) ,
-Venice Maritime Republic , London , 1973.
17) Lopez and Raymond ,
- Medieval trade in Mediterranean world, New York, 1955.
18) Lutfi ,(H.),
-Al Quds al Mamlukiyya , Berlin , 1985.
19) **Margaret ,A history of medieval church 590-1500,London**

,1972.

19) Marty,(W.),and Echols,(A.),

- Between pit and pedestal: Women in the middle ages, Prinston,1994.

20) Mina ,(K.) ,

- Israel land of Jews , new York , 1972.

21) Painter ,(S.),

.- A history of the middle ages , New York , 1954

22) Patterson (W.) ,

- Sacred Sites , New York , 2004.

23) Peters,(G.),

- Jerusalem The Holy City , U.S.A , 1985.

24) Poston ,(T.),

- The Cambridge economic history, vol 2, Cambridge,1952.

25) Prescott,(G.),

- Once to Sinai,The Further Pilgrimage of Felix Fabri ,London, 1957.

- Jerusalem Journey Pilgrimage to the holy land in 15 century ,London ,1954.

26) Ray Johan,

- Collection of Curious travels &Voyages, trans by Nicholas Staphorst ,London,1693.

27) Renna , (T.) ,

-Jerusalem in medieval through 400-1300 , Lewiston,2002.

28) Schefer , (C.H.) ,

obeikandl.com

Le Voyage de la Saincte de Hierusalem , Paris , 1882.
29) The New Encyclopedia Britain, vol 8, London , 1974.
30) Thompson ,(J.W),
- Economic and Social of the Middle ages (300 – 1300),vol 1,London,1959.
- History of the middle ages , London ,1931.
31) Vredan , (J.) ,
-Travel in the Middle ages , trans. By Gearge Holoch ,Noterdam ,2003.
32) Wad , (M.) ,
- Medieval travelers , London ,1983.
33) Wolff , (A.) ,
- How Many Miles to Babylon ? , Liverpool , 2003.
34) Ziada, (M.M),
- The Foreign relation of Egypt in 15 century London ,1967.

The Title of this study is " The cultural situations in Egypt and Syria throughout the writings of the Europeans travellers during the Mamluk era (648-923) (1250-1517A.B).These situations mean all what man had

obeikandl.com

produced, developed and change in various fields. Cultural means in general a group of intellectual, spiritual and material features which spread in any society. From here we can not also imagine a society without cultural but we can say that there is a difference in the cultural level between nations and citizens because each nation and has its own view of life. Each nation has its style of thinking, traditions, habits, industrial productions, different arts that serve it. There for we can say that the cultural situations are group of traditions, thoughts systems and rules, which deal with the problems of a certain society.Briefly and another word "cultural is the whole features of the human activity"

Travelling was a mean of acquiring knowledgement in the medieval centuries, which has various changes in all fields. It is still an essential mean of acquiring accurate knowledgement and comprehensive view. It is considered an easy way of collecting all the important and distinguished information because it depends on witnesses. A voyage is the ensight eye, which leads to the truth and reality. It presents a point of view which differs from the point of view of the native people.Here the value of the traveller appears because he could see clearly and deeply the events and the geographical description of the country such as its climate,plants,and the different environmental and population phenomena and its effection , he can also deduct things and discover events which we would not know about unless he wrote about. Those Travellers observed and studied the matters of the countries they passed by whether in their prosperous or improsperous conditions. They have teft for us a number of valuable books which narrate the condition of the countries and their nations in all fields recording precious notes and details which appeared for the historians of these countries as a familiar matter which did not attract their attention, they had also left records full of description of the towns they visited , they also interested in their western peers especially traders and pilgrims, they also interested in the conditions of the citizens and describing the Egyptian and Syrian towns with the ways that leads to each town, in addition to that they interested in mentioning the most important station of the pilgrims trips between Joppa then Jerusalem then Sinai to Cairo or the

coasted cities such as Damietta,Rashid and Alexandria.Thus they left important and valuable formations about each spot they visited.

In addition to that each traveller had his own writings and points of view which differ from the others, this is due to their different nationalities and targets, these difference leaded to different interests according to the environment in which they grew and their economical, political and religion conditions, some of them were Italian,Spanish,German and French, some of them interested in the political field, the system of the countries and the military status in the Islamic countries, some interested in the commercial field that you find that their research included describing ports, the capacity of commerce in these ports and the important industries and crafts, some of the were Christians and they were interested in the states of the Christians in Egypt and Syria ,how the Mamluk government treated the ,visiting the holy lands describing the ancient churches whit its importance and sacredness for the native and foreigners Christians. On the other hand the Jews travellers interested in the numbers of the Jews in the Islamic countries, their affairs, economical activities and their position in the area and their relations with the Moslems, Christians and the Mamluk government and they mentioned their temples.

The targets and motives of the travellers who came to the Mamluk countries had varied. They suffered a lot of troubles and great risks; they faced different dangers and problems in the sea and on the land such as storms and bad winds, which threatened their ships in the middle of the sea, and the attacks, which the pilgrims were facing by the Christians and Moslems pirates as well. For their targets; some of them came to performe pilgrimage and visit the holy lands in Egypt and Syria, which was related to biography of the Christ, and also to visit the monasteries, churches and tombs of the saints. Some others monks or preachers to be appointed in one of the monasteries. Some came as ambassadors for kings to reconcile, contract truces, threaten, spy or to make commercial bargain and receiving new commercial privileges for the communities of their countries. In addition to that there were economical

targets since a lot of people went to Syria with the beginning of the crusades where they settled and gained enormous benefits as a result of being commercial agent between the east and the west, a lot of those travellers frequented on the Egyptian and Syrian ports and they wandered in the countries to buy ad sell.

Add to all the former targets the desire of recognizing the situation of their eastern Christian brothers in order to send anther crusade to the east to protect the Christian sanctuary in the islamiv east or for special reasons related to the traveller's own desire of wandering, discovering, people 's conditions and studying the habits and traditions of new nations whom he don't know them. Thus the European travellers visited the Mamluk countries for various reasons and to achieve various targets.

The European travellers traveled from the west to the east using many and various ways, but the most important way is the Mediterranean where the British, French ,Italian and German used to reach the harbours of Venice ,Genoa ,Marcillia by land inside the borders of their countries, those harbours were considered the most important and the best harbours of the Mediterranean in Europe, and those were the places which the pilgrims and those who traveled by sea from Europe to the east turned to. Venice was considered the best and the most important Italian cities at all ,so Venice, Joppa, Alexandria way the shortest and the best.

The first chapter studies some situations of the Mamluk royal palace with its formation beginning with the Mamluk standard that was formatted of the Mamluks who were bought from the market of the slaves and those were called captives, The Mamluk government was built by them, their life was isolated away from the citizens 'life and the method of training, their residence in the castle, their clothes, their power in the country, and they were the essential reason for ruin of the country and the collapse of the internal and external states of the country. The chapter also deals with how they reach different positions;

such as the Mamluk sultan who reached his position by force, then it exposed some system of the royal palace, rules of authority, means of entertainment, their private life, the international political affairs between the Mamluk country and the other countries, means of punishment they used to punish criminals and finally the ceremony which they follow when they received the foreigners ambassadors.

The second chapter is titled by "The economical situations in Egypt and Syria" these situations are represented in agriculture which was based on sources of water, and different kinds of crops; how and when they were planted and harvest, also it exposes the system of irrigation and projects were established to protect and preserve water of the River Nile, then it deals with the different industries such as textiles and cloth, industries of glass, wood. Bricks, and sugar and honey which were gotten from sugar cane, it also studies wines which were produced from grapes and different kinds of oil especially olive and elsirag, then grinding grains and weapons industry. As for trade there were two kinds of it; International trade which dealt with ways of trade by land or sea, markets, and goods. Add to these methods of keeping birds and animals, which were the most amazing, and surprising for all travellers. This chapter also deals with how strong the movement of buying and selling was. The other kind of trade is the external trade, since the Mamluk country enjoyed a strong factors of the attraction forced the various foreign countries to deal with it. Add to these factors the existence of their communities in Egypt and Syria constantly because of the different ports, the policy of forgiveness which the Mamluk government followed and the commercial privileges they gave to the foreigners. The imported and exported goods in the ports were different in spite of the special procedures which the Mamluk governments were applying and the strictness of the inspection or colleting taxes at the custom house. In spite of the facilities the government gave to them and allowed them to build commercial establishments such as inns and hotels, the government was considering those foreigners as captives and used them to press on the foreigner governments in order to guarantee that their ships will reach to the harbours safely or recover

Moslems captives whom the pirates capture during their trips. The bad treatment, the greediness of the Mamluk sovereign, the monopoly of some goods and the high taxes that were collected from foreigner merchants; all these factors resulted in the bankruptcy of many of them, the flight of others, reduction of numbers of the delegated ships and the ruin of some coasted cites, consequently the reduction of the financial income and regress of the economy generally.

The title of the third chapter "The social status in Egypt and Syria ". Egypt and Syria had witnessed a remarkable growth in population at the beginning of the Mamluk era. That because of the period of peace that started since the sultan Baybars ruled the country; he made truces with the crusade kings in order to devote his forces to oppose the Mangoles who invaded most of the Islamic eastern countries, these countries faced slaughtering and terror then the mamulks could oppose them before interning the Egyptian borders, so the Mamluk government achieved a whole century of great progress for Egypt and Syria, add to the former the political and economical stability, the external immigration, improving the financial status in Egypt and Syria and prosperity of the internal and external trade which in return helped in facilating earning incomes and devilling safely and freely. The sultan Baybars, almansour Qalaun and al Nasir Mohamed ibn Qalaun improved the commercial relationships with the foreign countries, they also deleted some taxes which the residents were obliged to pay, there for the stability of the whole system was the real reason of the growth of the population in Egypt and Syria. Population decrease began in the second half of the fourteenth century because of the plague in(749/1347)which called the black death or the great death, that plague is considered the real beginning of the population decrease in that time.

The travellers divided the residents into three sections; The first one: the slave (Mamluks) who were promoted to high positions in the country and lived separately away from all the other residents. So that they became an distinguished rank and we have mentioned their origins and private life in chapter one. The second section: the nations with all

its parties which were submitted to the power of the sultan politically and to the khalifa religiously, they were divided into Moslems, Christians and Jewish. The third section: the Bedouins who resided the desert and the nomadic who farmed the lands and lived in the rural areas. The travellers dealt with the different traditions and customs for each section and the special ceremonies either it was religious, social or national ceremonies. The native people (Moslems, Christians and Jewish) lived a quiet and stable life, the evidence for that was the participation of those people in the national and religious celebrations, food, clothes and the public life away from the ruling class. But the Bedouins were considered as a strange part in the Egyptian society because of their clothes, shelters, food, and daily behavior. Add to that the insanes and eldarawish who renouned the world, they were a source of amazement for the travellers because of their clothes and strange believes. we shall not also forget the existence of the numbers of poor people who were in the streets since they haven't any place to live in but streets. Travellers also noticed that the residents were interested in searching for entertainment as a method which these residents used their troubles, anxious and daily problems. Native people created methods of entertainment and they devoted places for having fun such as the grave yard (el karafa), el azbakia ,ect. The Egyptian and Syrian cities didn't lack public bathes which were essential in their life because they didn't care of building bathes in their houses. In addition to the natural hot bath.

Women had a great important role in the society,they were allowed to walk, wander and travel freely. They used to go out to the market and visit their relative all the day. They also worked in trade and other jobs. Therefore many contemporaneous travellers and jurisprudents criticized them because of that freedom, which made travellers describe them as libertines and jesters. As for houses, the residents built wonderful houses with marvelous internal and external designs. They were also interested in decorating them with flowers, plants and fountains in order to guarantee the quietness and stability in their houses.They kept the sacredness of their houses by building wooden windows with small

openings, which called " mashrabia". Those openings enabled those whom were inside the house to see the outside world without bothering the residents. The Mamluks sultans had cared about education, they built schools near the mosques where young children learnt the Holy Quraan and the principles of reading and writing also there were " katatib ". But Jews were concerned about teaching their children in a special school belonged to their temples.

The last chapter deals with the states of the different religious parties in Egypt and Syria. Christians enjoyed freedom of religion and forgiveness since the establishment of the Islamic country, they possessed important positions in the country, their churches and monestries were found everywhere, they were allowed to stay safely and freely whether they were native or foreigners, they were also allowed to perform their rites as they like. The internal government also facilitated the journey of the Christians pilgrims to the holy land, those facilitates and services encouraged a plenty of western travellers to come to the Islamic state. The sultans Mamluks applied carefully religious justice for the religious minorities in the Mamluk country. But in hard occasions they pressed on them because of the European pirateness on the Egyptian and Syrian coasts, that pushed the Mamluk government to rage at their Christian residents randomly and in groups included pilgrims, monks, and foreign consuls, they sometimes closed one of the monestries or the public church and prevented pilgrims to enter it, or destructed one of the religious establishment that belongs to it especially when the Moslems are angry. But rapidly all those situations calmed down and peace spreaded again. The Christians parties varied and their number reached to ten parties, the travellers talked about their states, believes, how they lived and the places where they dwelled. Those parties differed in their believes, prospectives, rules, the language they used and how they performed their rites and the religious ceremonies. Each part thought that it was better than the others and it followed the right belief. But the Jewish parties were three basic parties in Egypt and Syria, then the travellers mentioned the Islamic parties especially two only.

Most writings of the Arabian and foreign pilgrims and travellers in the medieval era were characterized with description the holy places and Islamic, Christian, Jewish shrines. The most Islamic shrines that the European travellers saw and talk about in Jerusalem were masijid elaqsa and masijid elskhra and both are located on Morya mountain. A lot of them concerned about explaining and describing the holy places matching it with what was written in the Bible and the Gospel depending on the mentioning some verses which tells about this holy place. Some of them described the holy shrines in a amazing details through defining spaces and steps and through drawing a map of these places. Most travellers and pilgrims started with visiting Syria especially Jerusalem and the places around it, they recorded what they saw there because the Virgin Mary and the Christ were born on its land. Nevertheless they also visited Egypt because they were attracted to it because of what is written about it in the Bible and the Gospel, churches that were established since the beginning of the Christian history and S.T Cathrin monestry which gained an international fame.But the Jews were interested in visiting Grizem the holy mountain as they considerd it the place of sacred pilgrimage, they were also interested in visiting the graves of the prophets and saints and the double cave.

Obeikandl.com

هذا البحث بعنوان " الأوضاع الحضارية في مصر والشام من خلال كتابات الرحالة الأوربيين في العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠– ١٥١٧م) "، ويقصد بتلك الأوضاع كل ما أنتجه الإنسان وأحدث عليه تطورات وتغييرات عديدة في مجالات متنوعة، فالحضارة تعنى بصفة عامة مجموعة المظاهر الفكرية والمادية والروحية التي تسود أي مجتمع من المجتمعات، وهنا لا يمكننا الفصل بين هذه المظاهر أو أن ننكر وجود علاقة بينها في حياة أي شعب من الشعوب، كما أننا لا نستطيع أن ننفي التأثير المتبادل بينها، كذلك لا يمكن تصور مجتمع ما بدون حضارة، لكن يمكن القول بأن هناك اختلافاً في المستوي الحضاري من أمة إلي أخري ومن شعب إلي آخر، لأن لكل شعب نظرته للحياة وله أسلوبه في التفكير والعادات والتقاليد وله أيضا مصنوعات وحرفاً وفنوناً مختلفة تفيده وتخدمه، ولذا يمكن القول بأن الأوضاع الحضارية هي مجموعة من التقاليد والأفكار والنظم والقوانين التي تعالج مشكلات مجتمع ما، و بعبارة أخري مختصرة وأكثر وضوحا " إن الحضارة هي جميع مظاهر النشاط البشري ".

كانت الرحلة وسيلة من وسائل المعرفة في فترة العصور الوسطي تلك الفترة التى شهدت تغيرات وتحولات عديدة في نواحٍ مختلفة، وما زالت الرحلة وسيلة رئيسية للمعرفة الدقيقة والرؤية الشاملة، فهي طريقة سهلة وميسرة لجمع كافة المعلومات الهامة والمميزة لأنها تعتمد علي شهود عيان، فالرحلة هي العين المبصرة للوصول للحقيقة والواقع، وتقدم وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر السكان الأصليين، وهنا تبرز قيمة الرحالة حيث يتمكن من رؤية واضحة وعميقة لبعض الأحداث وللوصف الجغرافي للبلاد مثل التضاريس والمناخ والنبات الطبيعى والظواهر البيئية والسكانية المختلفة ومدى تأثيرها، ويستنتج بعض الأمور ويكشف النقاب عن أشياء وأحداث لم نكن لنعرفها إلا عن طريق كتابات هؤلاء الرحالة، حيث لاحظوا ودرسوا أحوال البلاد التي مروا بها في حالة الازدهار، أو في حالة الانهيار والتدهور، وقد ترك لنا الرحالة

مؤلفات قيمة تسرد ظروف البلاد وشعبها في شتي نواحي الحياة مسجلين أدق الملاحظات والتفاصيل التي قد تبدو للمؤرخين من أبناء البلد شيئاً مألوفاً فلم تلفت نظرهم، وخلفوا لنا سجلات حافلة بوصف المدن التي زاروها وأحوالها واهتموا بصفة خاصة بأخبار إخوانهم من الغربيين من تجار وحجاج، وكذلك أحوال الوطنيين كما اهتموا بوصف المدن المصرية والشامية وثغورهما والطرق المؤدية لكل مدينة، بالإضافة إلي ذكر أهم محطات رحلة الحج التي انحصرت بين يافا ثم بيت المقدس ثم سيناء ومنها إلي القاهرة أو المدن الساحلية مثل دمياط ورشيد والإسكندرية، ولذا فغنهم تركوا لنا معلومات هامة وذات قيمة عن كل بقعة شاهدوها.

فضلاً عن أن لكل رحالة كتاباته الخاصة وآراءه المختلفة عن غيره وذلك نظراً لاختلاف جنسياتهم وأهدافهم، فأدي ذلك إلى اختلاف وتنوع اهتماماتهم وفقاً للبيئة التي نشئوا فيها ولظروفهم السياسية والاقتصادية والدينية فكان منهم الإيطالي والأسباني والألماني و الفرنسي، و منهم من اهتم بالجانب السياسي وأنظمة الدولة والوضع العسكري في البلاد الإسلامية، ومنهم من اهتم بالجانب التجاري فشمل وصف الموانئ الثغور ومدي حجم التجارة في هذه الموانئ وأهم الصناعات والحرف التي عمل بها أهل البلد، وكذلك اهتم الكثيرون من الرحالة الأوروبيين بشراء السلع والمنتجات من أجل بيعها في أوطانهم لتحقيق بعض الربح المادي وخاصة إذا علمنا أن العديد من الأسواق التجارية في الشرق كانت متمثلة في أسواق مصر والشام والتي ترد إليهما المنتجات الشرقية كلها وتوزع فيما بعد إلى أوربا.، وهناك الرغبة الملحة في كشف سحر الشرق ومشاهدة معالمه التي قرأوا عنها في الكتاب المقدس، أو فى رحلات السابقين فأرادوا تحقيق الحلم وذلك بالرحلة والسفر إلى مصر والشام. ء

ومنهم الرحالة المسيحيون الذين اهتموا بأحوال المسيحيين في مصر والشام ومعاملة الدولة المملوكية لهم، وزيارة الأماكن المقدسة ووصف الكنائس المسيحية

القديمة ومدي أهميتها وقدسيتها للمسيحيين الوطنيين والأجانب، الرحالة اليهود، فقد كان اهتمامهم منصباً علي أعداد اليهود في البلاد الإسلامية وأعمالهم ونشاطهم الاقتصادي ووضعهم في المنطقة وعلاقتهم بالمسلمين والمسيحيين والسلطات المملوكية وذكر ديارات اليهود ومعابدهم.

تنوعت أهداف ودوافع الرحالة الذين جاءوا إلي الدولة المملوكية، وتحملوا مصاعب جمة ومجازفات كبيرة حيث تعرضوا في البحر والبر لمعوقات ومخاطر عديدة مثل العواصف والرياح القوية التي هددت سفنهم في عرض البحر، ويبدوا أنها كانت لها النصيب الأكبر من الخطر الذي أحدق بهم، بالإضافة إلى الهجمات التي كان يتعرض لها الحجاج من قبل القراصنة المسيحيين والمسلمين،أما عن أهدافهم فهنالك من جاء بهدف الحج وزيارة الأماكن المقدسة في مصر والشام والمرتبطة بسيرة السيد المسيح، وكذلك زيارة الأديرة والكنائس والأضرحة الخاصة بالقديسين، أومن جاء راهبا وواعظا ليتم تعيينه في أحد الأديرة، أو كان سفيراً من ملك ما لطلب الصلح أو عقد هدنة أو للتهديد، أو للتجسس، أو لعقد اتفاقيات تجارية والحصول على امتيازات تجارية جديدة لرعايا بلاده، بالإضافة إلى الدوافع الاقتصادية إذ ذهب الكثيرون إلى الشام منذ بداية الحروب الصليبية وأقاموا فيه وحققوا أرباحاً مادية هائلة، نتيجة القيام بدور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب فتردد الكثير من هؤلاء الرحالة على الموانئ المصرية والشامية وتجولوا في البلاد للبيع والشراء.

هذا بالإضافة إلي الرغبة في معرفة أوضاع إخوانهم المسيحيين الشرقيين للتمهيد لإرسال حملة صليبية جديدة إلى الشرق لحماية المقدسات المسيحية في الشرق الإسلامي، أو لأسباب خاصة تتعلق برغبة الرحالة ذاته في التجول والاستطلاع للتعرف على أحوال الناس ودراسة عادات وتقاليد شعوب جديدة لا يعلم عنها شيئا.

وهكذا اتجه الرحالة الأوربيون إلى الديار المملوكية لأسباب عديدة ولتحقيق مآرب متنوعة.

وقد سافر الرحالة الأوربيون من الغرب إلى الشرق في طرق عديدة ومتنوعة، ولكن أهمها كان طريق البحر المتوسط حيث اعتاد الرحالة القادمون من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا المجيء إلى مواني البندقية وجنوه وبيزه ومرسيليا براً داخل حدود بلادهم حتى الوصول إلى هذه الموانئ، والتي كانت تعد أهم وأقوى وأفضل موانئ البحر المتوسط في أوربا، وهي الأماكن التي كان يقصدها الحجاج والرحالة المسافرون بحراً من أوربا إلى الشرق، وكانت مدينة البندقية تعد أفضل وأهم المدن الإيطالية على الإطلاق ويمكن السفر من خلالها ولذلك كان طريق البندقية – يافا– الإسكندرية أقصر الطرق وأفضلها.

تناول الفصل الأول، بعض أوضاع البلاط المملوكي المتمثلة في تكوينه وتشكيله، بداية من تكوين الطبقة المملوكية التي تكونت من المماليك الذين كانوا يشترون من أسواق العبيد وهؤلاء أطلق عليهم المماليك المشتروات أو كانوا اسري حرب، وقد قامت الدولة المملوكية علي أكتافهم وسميت باسمهم، وحياتهم التي كانت منعزلة تماماً عن الشعب، وطريقه تدريبهم الخاصة ومسكنهم في القلعة وملابسهم وسلطتهم في الدولة والمشكلات التي تسببوا فيها وكانوا هم السبب في تدهور الدولة وانهيار أحوالها الداخلية والخارجية، وكيفية توليهم المناصب المختلفة، وعلي رأسهم السلطان المملوكي الذي كان يتولى السلطة بالقوة والاغتصاب،ثم عرض لبعض أنظمة البلاط وقواعد الحكم ووسائل الترفيه والتسلية والحياة الخاصة لتلك الطبقة، وكذلك العلاقات السياسية الخارجية بين الدولة المملوكية والدول الأخرى، ووسائل العقاب المتبعة في عقاب المجرمين، ومراسم البلاط المملوكي عند استقبال السفراء الأجانب.

أما الفصل الثاني الذي يحمل عنوان " الأوضاع الاقتصادية في مصر والشام " متمثلة في الزراعة التي تقوم علي مصادر المياه وأنواع المحاصيل المختلفة وطرق زراعتها ومواسم الزراعة والحصاد وكذلك نظم الري والمشاريع التي قامت للحفاظ علي مياه النيل، ثم الصناعات المتنوعة فمنها النسيج والأقمشة والملابس، وكذلك الصناعات الزجاجية والخشبية، والطوب والسكر والعسل اللذان يستخرجان من محصول قصب السكر، والخمور المصنوعة من عصير العنب، والزيوت وأهمها زيت الزيتون والسيرج، ثم طحن الحبوب وصناعة الأسلحة، أما التجارة فهي نوعان هما، التجارة الداخلية فتناولنا فيها طرق التجارة الداخلية البرية والمائية و الأسواق والسلع وكذلك طريقة تربية الطيور والحيوانات والتي استرعت انتباه ودهشة وإعجاب جميع الرحالة، ومدي قوة حركة البيع والشراء، ثم التجارة الخارجية حيث تمتعت الدولة المملوكية بعوامل جذب قوية جذبت العديد من الدول الأجنبية للتعامل معها وتواجد جاليتها في مصر والشام بشكل مستمر مثل تعدد الموانىء وسياسة التسامح التي اتبعتها السلطات الحاكمة والامتيازات التجارية الهامة التي منحتها للأجانب، كما تنوعت السلع الصادرة والواردة إلى الموانئ المصرية والشامية، في حين كانت السلطات المملوكية تنفذ بعض الإجراءات الخاصة بدخول السفن في الموانئ المملوكية ولكنها اتسمت بالشدة والقسوة سواء في التفتيش أو في جمع الضرائب في الجمرك ورغم التسهيلات التي قدمتها السلطات وسمحت بإقامة المنشآت التجارية الخاصة بهم مثل الخانات والفنادق إلا أنها كانت تعتبر هؤلاء الأجانب رهينة في أيديها تضغط بهم علي الحكومات الأجنبية لتضمن عودة السفن الأجنبية إلي موانيها أو لتسترد الأسرى المسلمين الذين كان يأسرهم القراصنة في عرض البحر، ونتيجة لسوء المعاملة وطمع السلاطين المماليك واحتكار بعضهم للسلع الهامة وفرض الضرائب الباهظة علي التجار الأجانب والوطنيين أدي ذلك إلي إفلاس العديد منهم وهروب البعض وقلة أعداد السفن الوافدة وخراب بعض المدن الساحلية وبالتالي نقص العائد المادي وتدهور الاقتصاد بصفة عامة.

يأتي الفصل الثالث بعنوان " الأوضاع الاجتماعية في مصر والشام " ، فقد شهدت مصر والشام في بداية العصر المملوكي نمواً سكانياً ملحوظاً، نتيجة لفترة السلام التي بدأها الظاهر بيبرس(٦٥٨-٦٧٦هـ) (١٢٦٠-١٢٧٧م) منذ توليه السلطة، حيث قام بعقد مهادنات مع الملوك الصليبين، وذلك للتفرغ لصد الهجمات المغولية التي غزت معظم بلدان الشرق الإسلامي، وتعرضت هذه البلدان إلى عمليات الذبح الجماعية والفزع والرعب، فاستطاع المماليك صدهم قبل أن يصلوا إلى حدود مصر، وجلبت تلك الحكومة القوية لكل من مصر وسوريا قرناً كاملاً من الازدهار العظيم، أضف إلى ذلك الاستقرار السياسي والهجرات الخارجية الاستقرار الاقتصادي، وتحسين الأوضاع المالية في مصر والشام وازدهار حركة التجارة الداخلية والخارجية، مما ساعد على توفير سبل العيش والإقامة بأمان وحرية، كما عمل الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والناصر محمد بن قلاوون على تحسين العلاقات التجارية مع الدول الأجنبية، فساهم ذلك في تحسين النقد والوضع الاقتصادي، كما ألغوا بعض الضرائب والمكوس التي كانت مفروضة على السكان، وهكذا كان استقرار النظام بكل جوانبه داعياً لزيادة السكان في مصر والشام لزيادة الهجرات الخارجية الأخرى، ثم بدأ التناقص السكاني في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي، نتيجة للطاعون عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٧ م والذي أطلق عليه الموت الأسود أو الفناء الكبير – ويعد ذلك الطاعون هو البداية الحقيقة للتدهور السكاني في ذلك الوقت.

وقد قسم الرحالة الأوربيون السكان إلي ثلاثة أقسام: الأول: هم المماليك العبيد الذين تولوا مناصب عليا في الدولة وعاشوا منفصلين عن سائر السكان وأصبحوا طبقة ممتازة وقد سبق الحديث عن أصلهم وحياتهم الخاصة في الفصل الأول ، والثاني: هم الشعب بكل طوائفه الخاضعة لحكومة السلطان سياسياً ولنفوذ الخليفة دينياً وهؤلاء عددهم كبير جداً وينقسمون إلى مسلمين

ومسيحيين ويهود، والثالث: هم الأعراب الذين يسكنون الصحراء أو الأعراب المستفلحين الذين عاشوا في المناطق الريفية، وهنا تناول الرحالة العادات والتقاليد المختلفة لكل قسم من السكان والاحتفالات الخاصة بهم سواء كانت دينية او اجتماعية او وطنية ورغم ذلك إلا أن السكان الوطنيين سواء من المسلمين أو المسيحيين أو اليهود عاشوا حياة هادئة مستقرة فيما بينهم بدليل مشاركة الجميع في الاحتفالات الوطنية والدينية وفي الملبس والمأكل وفي الحياة العامة منعزلين عن السلطات الحاكمة، أما البدو فقد اعتبروهم طائفة غريبة عن المجتمع المصري من حيث الملبس والمسكن والمأكل والسلوكيات اليومية، أضف إلي ذلك وجود جماعة من المجاذيب والدراويش الذين زهدوا الدنيا وكانوا مصدراً لدهشة الرحالة بسبب ملابسهم ومعتقداتهم الغريبة، ولا ننسي أيضا وجود أعداد من الفقراء والمعدمين في الشوارع الذين لم يجدوا مكاناً غيره للإقامة فيه، فكان الشارع هو الملجأ والملاذ لهم، كما لاحظ الرحالة مدي اهتمام السكان بالبحث عن وسائل الترفيه والتسلية كوسيلة للتخلص من الهموم ومشاكل الحياة اليومية المستمرة وتفننوا في ابتكار طرق للتسلية واتخذوا بعض الأماكن مراكز للهو والترفيه مثل منطقة القرافة والأزبكية وغيرها، هذا ولم تخل المدن المصرية والشامية من وجود الحمامات العامة التي كانت أساس الحياة اليومية حيث لم يهتم الناس بإنشاء حمامات في منازلهم بالإضافة إلي الحمامات الطبيعية الحارة مثل بحيرة طبرية والتي كانت طريقة من طرق العلاج الطبيعي، كما كان للمرأة دور بارز وهام في المجتمع وتمتعت بحرية التجول والترحال حيث كانت تخرج طوال اليوم إلي السوق وزيارة الأقارب وتعمل بالتجارة وأعمال أخري، وعاب كثير من الرحالة والفقهاء المعاصرين علي تلك الحرية التي سمحت لهن بحرية التصرف والحركة مما جعل الرحالة يصفهن بالمجون والخلاعة،أما المنازل فقد حرص السكان علي إنشاء منازل رائعة الجمال من حيث التصميم الداخلي والخارجي واهتموا بتجميلها وتزيينها بالزهور والنباتات الجميلة وبالنافورات حرصا

علي توفير الراحة والهدوء في المنزل وحافظوا علي حرمته وذلك بعمل النوافذ الخشبية ذات فتحات صغيرة سميت بالمشرابية والتي سمحت لمن في داخل المنزل برؤية من في الخارج دون التسبب في إزعاج أهل المنزل، كما اهتم السلاطين المماليك بالتعليم فأنشئوا المدارس بالقرب من المساجد وتعلم فيها الصبية الصغار القرآن الكريم ومباديء القراءة والكتابة ، كما وجدت كتاتيب فوق الأسبلة التي أنشئت لتوفير المياه العذبة للمارة في الشارع فكانت صدقة جارية لصاحبها وقد كان يبني بجوارها مساكن خاصة تأوي الفقراء وعابري السبيل أيضا، أما اليهود فقد اهتموا بتعليم أبنائهم في مدارس خاصة بهم داخل معابدهم.

يتناول الفصل الأخير أحوال الطوائف الدينية المختلفة في مصر والشام، حيث تمتع المسيحيون منذ نشأة الدولة الإسلامية بالحرية الدينية والتسامح، فقد تولوا مناصب ووظائف هامة في الدولة، وكانت لهم الكنائس والأديرة المنتشرة في كل مكان،كما سمح لهم بالإقامة في البلاد بحرية وأمان سواء كانوا مسيحيين وطنيين أم مسيحيين وافدين قادمين من الدول الأوربية، وسمح لهم بممارسة شعائرهم ومعتقدهم الدينية كما يحلو لهم وسهلت السلطات المحلية دخول الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة، وقدمت تسهيلات وخدمات عديدة لهم ساهمت على كثرة الوافدين الغربيين إلى الدولة الإسلامية، وقد حرص سلاطين المماليك على الالتزام بتطبيق العدالة الدينية للأقليات الدينية في الدولة المملوكية، ولكنهم في أوقات الشدة مارسوا عليهم ضغوطاً شتى بسبب عمليات القرصنة الأوربية على السواحل المصرية والشامية مما جعل السلطات المملوكية تصب غضبها على سكانها المسيحيين بصورة عشوائية وجماعية شملت الرهبان والحجاج والقناصل الأجانب،كانت تقوم بغلق أحد الأديرة والكنائس العامة وتمنع الحجاج من دخولها، أوبهدم أحد المنشآت الدينية التابعة لهم وخاصة في حالة إثارة العامة من المسلمين، ولكن سرعان ما تهدأ الأوضاع

ويسود الود والسلام مرة أخرى، فأدي ذلك إلي تعدد الطوائف المسيحية ووصل عددهم إلى حوالي عشرطوائف ذكرها الرحالة وتحدثوا عن أوضاعهم وعقائدهم وظروف حياتهم ومعيشتهم وأماكن وجودهم، تلك الفرق اختلفت في مفهومها وعقيدتها وقوانينها ولغتها التي تستخدمها وكذلك في طريقة تأدية القداس والاحتفالات الدينية، كما كانت كل طائفة ترى أنها أفضل من الأخريات وتعتقد في صدق عقيدتها وحسن نيتها وتصف الأخريات بالكفر والهرطقة، أما الطوائف اليهودية فهي ثلاث طوائف أساسية انتشرت في مصر والشام، ثم الطوائف الإسلامية وأهمها ما ذكره الرحالة عن الشيعة مثل الحشاشين والدروز فقط.

تميزت معظم نصوص الحجاج والرحالة الأجانب والعرب في فترة العصور الوسطي بذكر وصفاً للأماكن المقدسة والمزارات المسيحية واليهودية والإسلامية كما اهتم الكثيرون منهم بشرح ووصف المكان المقدس مطابقاً لما جاء في الكتب المقدسة سواء التوراة أو الإنجيل مع الاعتماد على ذكر آيات تتناول ذلك الموقع المبارك ومنهم من قدم وصفاً تفصيلياً للمزارات المقدسة بصورة مذهلة وذلك بتحديد المسافات والخطوات أو برسم خريطة وتوزيع الأماكن المقدسة عليها بدأ معظم الرحالة والحجاج بزيارة بلاد الشام وخاصة بيت المقدس وما حولها والاهتمام بتسجيل ما شاهدوه من أماكن ومزارات مقدسة فيها نظراً لأنها مولد السيدة العذراء والمسيح وفيها أماكن عاش فيها سيدنا داود وسليمان وكثير من الأنبياء والرسل والقديسين، ورغم ذلك فإنهم كانوا يتجهون إلى مصر إذا كان يجذبهم لزيارتها ما جاء عنها في نصوص وآيات التوراة والإنجيل وما بها من كنائس قد شيدت منذ فجر تاريخ المسيحية وما حظي به كذلك دير سانت كاترين في سيناء من شهرة عالمية منذ القدم، فقد كانت سيناء معبر المسافرين بين بلاد الشام ومصر ولذلك كان لابد عليهم زيارة جبل سيناء والدير

للحصول على الغفران والبركة، ومن أمثلة المزارات المسيحية، كنيسة القيامة (كنيسة الضريح المقدس)، كنيسة الميلاد (كنيسة بيت لحم)، كنيسة ضريح حنا والدة السيدة مريم العذراء، دير سانت كاترين، سجن القديسة كاترين، كما تناولوا وصف الأماكن المقدسة في القاهرة وبابليون والفسطاط وخاصة المواقع التي تباركت بمجيء السيدة مريم العذراء والسيد المسيح عليهما السلام وهروبهما من الناصرة إلى مصر خوفاً من هيرودس الحاكم الروماني وإقامتهم في مصر.، أما اليهود فقد اهتموا بزيارة جبل جرزيم المقدس الذي كان يعد مكان الحج المقدس، وأضرحة القديسين والأنبياء،أما أهم المقدسات والمزارات الإسلامية التي شاهدها وتحدث عنها الرحالة الأوربيون في بلاد الشام فهو المسجد الأقصى ومسجد الصخرة في بيت المقدس وهما يقعان على جبل موريا وكان يطلق على مكانهما معبد السيد Temple domini أو هيكل سليمان وقد تعرض ذلك المعبد إلى الخراب والتدمير عدة مرات والمسجد الأقصى مستدير الشكل وبنى على النمط الإغريقي، أما مسجد الصخرة (مسجد عمر بن الخطاب) فيقع في الجزء الشرقي من مدينة بيت المقدس في ساحة مربعة تجاه وادي يوشفات.

obeikandl.com